الدور السياسي للكنيسة..
الإجهاض نموذجا

عبدالمنعم أبو الفتوح..
شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية الفرق في مصر

حزب التحرير..
المنقضون على ثورات العرب



www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد العدد ١٠٩ رجب ١٤٣٣هـ



تحديـــات في طريق أهل السُنّة اليوم

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

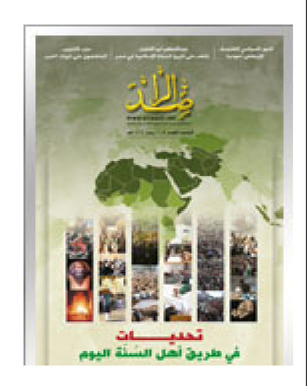
دراســـــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٠٩)
رجب - ١٤٣٣ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

تحديات في طريق أهل السُنّة اليوم

تمر أمتنا اليوم بمرحلة جديدة في تاريخها تشهد الكثير من المتغيرات والأحداث، والتي أفرزت تحديات جديدة في نوعها أو حجمها أمام أهل السنة، وهذه التحديات كثيرة ومتنوعة ومتعددة الجهات والأغراض، مما يستوجب على أهل السنة وخاصة رؤوسهم وعلماءهم أن يمتلكوا النظرة الشاملة والكلية للتحديات وأن لا يقعوا في فخ النظرة الجزئية للتحدي أو في دائرة جغرافية صغيرة ومحددة، كما لا بد من امتلاك القدرة على التعامل مع عدة تحديات قد تبدو متناقضة في نفس الوقت، أي العمل بالتوازي على عدة ملفات وتحديات وترك العمل على التوالي في الملفات، فكم من قضية انشغل بها أهل السنة مدة طويلة فلما انتهت فوجئوا بملفات أخرى تضخمت أثناء ذلك وأصبح من الصعب التعامل معها!!

١- من التحديات اليوم تقديم خطاب وسلوك سني متميز في السياسة الشرعية بعد أن أصبح كثير من القوى السنية في قلب العمل السياسي، فنحتاج إلى خطاب شرعي يحافظ على مقاصد الشرع ويحقق المصالح الحقيقية للأمة، ونحتاج إلى تقديم نموذج عملي في السياسة وإدارة الدولة يظهر الآثار الإيجابية للمرجعية الإسلامية حين تفعّل في حياة الناس، نحتاج إلى نموذج يتفوق على النموذجين الماليزي والتركي، فبالرغم من تميز وتفوق هذه النماذج إلا أننا بما نحمل من سلامة المنهج وصواب المعتقد لابد أن يكون إتقاننا في الخدمة العامة والناس وإحساننا بإدارة الدولة ومعاملة الناس بمعايير الفاروق رضي الله عنه الذي قال: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟»، والقائل: «لو مات جدي بطف (شاطئ) الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر».

وهذا يكون بالتشاور مع أهل الخبرة والاختصاص وتقديمهم، وعدم الركون لآفة الحزبية التي تقدم الولاء على الكفاءة، ومن أبرز مصائب هذه السياسة الحزبية الجاهلية مقارنة الصناعة الروسية والإيرانية الحربية بالصناعة المدنية، فلكون الولاء هو المقدم فيهما فإن الولاء عند العسكر يتناغم مع الكفاءة فتجد الصناعة الحربية تزدهر، بينما في الجانب المدني حين يقدم الولاء وتتخلف الكفاءة تصبح الصناعة المدنية في غاية التخلف والبؤس!!

٢- من التحديات اليوم تحويل مستجدات الربيع العربي لأوضاع إيجابية على كافة الأصعدة، والتفطن لمكر الأعداء في الداخل والخارج الذين يودون إعادة عقارب الساعة للخلف، فلنحذر من الحرائق المفتعلة بشكل مستمر لخلق صراعات داخلية في الدول، ولنحذر من إلهائنا بمعارك صغيرة وهامشية عن معركة البناء والتأسيس لمرحلة جديدة يسود فيها الحق والعدل والحرية والكرامة والقانون وهي مقاصد أساسية للشريعة.

كما يجب أن نتنبه للمحاولات الحثيثة لتحويل الثورة السورية من خطوة على طريق قوة الأمة، بتحرير سوريا من دور حماية إسرائيل والتبعية لإيران في مشروع الهيمنة، إلى جعل الثورة السورية أداة لتحقيق أغراض إسرائيل وإيران بتفتيت الدول العربية وتفجيرها من الداخل، كما بدأ ذلك في طرابلس بلبنان، ومما يساعد على تحقيق هذا المقصد الإسرائيلي الإيراني التأخر العربي والإسلامي في دعم المعارضة السورية بكل أشكال الدعم.

٣- من التحديات اليوم: الحفاظ على الهوية الإسلامية الحقيقية لأمتنا، والتي يراد تغييبها بشعارت عديدة مثل نبذ الطائفية والمواطنة وقيم

الحرية والليبرالية والعلمانية والدولة المدنية.

ففي الوقت الذي يطالب فيه البعض بالليبرالية والعلمانية والمواطنة والمدنية تجدهم يطالبون أيضاً بحقوق الأقليات!! فإن كنتم مع العلمانية والمواطنة فكيف تطالبون بكوتات طائفية؟؟

وفي الوقت الذي يرفعون فيه شعارات التوافق بين القوى السياسية، إلا أنهم يرفضون التوافق الأغلبي المطالب بالهوية الإسلامية، حتى صرحوا بأن الديمقراطية ليست حلاً، بل لا بد من قبول الديمقراطية الليبرالية!!

فالواجب على أهل السنة التركيز على الهوية الإسلامية وأنها الأصل الذي يجب على الجميع التكيف معه، وأن أمتنا استوعبت في تاريخها كل من عاش في أكنافها مهما كان متناقضاً معها بشرط أن لا يعمل ضدها.

٤- من التحديات اليوم التنبه للمشروع الشيعي في أطراف العالم الإسلامي، فاليقظة لمشروع الهيمنة الإيراني السياسي في المنطقة العربية، وانخراط إيران في تهديد الأمن القومي العربي في سوريا ولبنان[1] والعراق والبحرين والكويت واليمن، يجب أن لا تلهينا عن النشاط التبشيري المحموم لنشر التشيع في أطراف العالم الإسلامي في أفريقيا وآسيا والجاليات الإسلامية في المهاجر.

ولذلك لا بد من دعم المنابر الإعلامية التي تكافح آفة التشيع باللغات المحلية في تلك الدول، كما يجب إعادة الدعم والتواصل مع تلك البلاد من قبل الحكومات، كما يجب إعادة إحياء دور الأزهر والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - كما كان سابقا- في نشر الدعوة الإسلامية ورعاية الدعاة.

٥- من التحديات اليوم كشف النشاطات المشبوهة التي تقوم بها بعض الاتجاهات الصوفية بدعم من القوى الغربية أو بعض الأنظمة المستبدة، حيث تكرر في تاريخنا استغلال الغزاة والمستبدين لهم لإضفاء الشرعية على جرائمهم تجاه أمتنا وحقوقها، ولعل من أكبر الأمثلة ما يقوم به د.البوطي والمفتي حسون من دعم المجرم بشار الأسد، وكذلك ما يقوم به بعض شيوخ الصوفية من الاندماج في مخططات مؤسسة راند، أو المشاركة في جلسات الكونجرس الأمريكي، أو ما تقوم به مؤسسة طابة.

٦- من التحديات اليوم التصدي لحملة الحداثيين في مهاجمة الإسلام من الداخل، فبعد تكسر موجة الإلحاد، ظهرت فكرة «الانبثاق من خصوصيات المجتمع» فظهرت محاولات الماركسيين لتقديم فقه إسلامي منحرف، مثل محاولات محمد شحرور وعبد الكريم خليل وعبد المجيد الشرفي ونصر أبو زيد وسيد القمني، والآن مع التفوق الإسلامي سنشهد تزايد ظاهرة النفاق والغزو من الداخل بشعارات وعناوين مختلفة.

٧- من التحديات اليوم التنبه لموجة الغزو الناعم لشبابنا وفتياتنا عبر وسائل الإعلام التي تركز على تسويق الشهوات لسهولة تقبلها، بدلاً من الشبهات التي أصبحت تثير الأزمات، ولذلك أصبحنا نرى تفلتاً في كثير من السلوكيات وعند شرائح لم تكن تعرف ذلك.

ومن خلال الشهوات تبث الشبهات، فبعد مسيرة طويلة من بث الشهوات ونشرها ظهرت في بؤر معينة دعوات منحرفة مثل عبدة الشيطان والإيمو وهكذا.

وهذا يستدعي خطاباً دعوياً يتناسب محتواه مع عقليات وعواطف الشباب، وخطاباً دعوياً متجدداً في طرائقه وأساليبه ينافس الإثارة والإبهار الذي تسوق بها الشهوات، وهو تحدٍ لم يأخذ حقه من الاهتمام بعد.

---

(١) والمجلة تحت الطبع لعبت الأصابع الشيعية في لبنان وقتلت على حاجز للجيش اللبناني شيخا من رموز السنة في طرابلس ألا وهو الشيخ أحمد عبد الواحد على يد نقيب شيعي من جنوب لبنان يدعى علي أحمد، وهكذا تريد سورية النصيرية سحب المعركة إلى لبنان، ونتسأل هل الشيعي في لبنان يعانى من مظلومية أو إقصاء حتى يمارس مثل هذا الدور ؟؟

٤- العلامة عبد الحميد بن باديس (١)

(١٣٠٨-١٣٩٥هـ/ ١٨٨٩-١٩٤٠م)

أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

تمهيد:

دور العلامة ابن باديس في استقلال الجزائر عن فرنسا دور مركزي، إذ كان ابن باديس وطيلة ربع قرن هو رافع لواء الهوية الإسلامية والعربية للجزائر في وجه فرنسا، والمحرض على رفض الذوبان والاندماج في الهوية الفرنسية، حتى كاد أن يعلن الثورة المسلحة عليها لولا أن توفاه الله عز وجل.

وهذا الدور المركزي لابن باديس لا يتضح إلا إذا فهمنا تاريخ الجزائر مع الاحتلال الفرنسي الذي استمر ١٣٠ عاماً، عانت فيه الجزائر وأهلها أشد المعاناة من التشريد والحبس والقتل ومصادرة الأموال والأراضي فضلاً عن محاربة الإسلام والعروبة، وكانت استراتيجية فرنسا ضم الجزائر لها نهائياً وإرسال فرنسيين لها ليكونوا سكاناً للجزائر بدل أهلها، في نموذج سابق على جريمة المستوطنين الإسرائيليين في فلسطين اليوم.

ولم يقف الجزائريون أمام هذا الوضع مكتوفي الأيدي، بل قاموا بمقاومة فرنسا عسكرياً ومدنياً بحسب ما قدروا عليه، وهو الذي سنفصل فيه قليلاً لنفهم الخلفية التاريخية التي جاء فيها ابن باديس.

(*) كاتب أردني.

الاحتلال الفرنسي للجزائر:

بعد قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م أصيبت فرنسا بانهيار اقتصادي وتعرضت لمجاعة قاسية نتيجة للحصار الاقتصادي والعسكري اللذين فرضتهما الدول الأوربية المعادية للثورة الفرنسية، ولم تجد فرنسا أمامها إلا اللجوء إلى الجزائر لشراء القمح منها، فما كان من والي الجزائر الداي حسين باشا إلا أن وضع تحت تصرفها فائض المحصول من الحبوب وأقرضها ربع مليون فرنك دون فائدة لشراء ما يلزمهم، ومن أجل ذلك أسست الحكومة الفرنسية خطاً ملاحياً خاصاً لنقلها.

وكانت فرنسا قد اعتمدت شركة يملكها يهوديان وسيطة بينها وبين الجزائر، حيث كانت تشتري من الجزائر بسعر وتبيع لفرنسا بسعر مرتفع بالأجل، مما رتب على فرنسا ديوناً تجارية للجزائر، أخذت تماطل في سدادها.

وفي عام ١٨٢٧ حين قدم قناصل الدول الأجنبية لزيارة حاكم الجزائر الداي حسين لتهنئته بعيد الفطر، جرى حوار بينه وبين «دوقال» قنصل فرنسا وطلب منه أن يبلغ حكومته بضرورة الإسراع في تسديد الديون التي عليها للجزائر، فأساء القنصل الفرنسي الرد، فأمره الداي حسين بالخروج من حضرته، لكن «دوقال» لم يستجب للأمر، فقام الباشا بضربه بالمروحة التي كانت في يده، فكتب القنصل إلى بلاده بما حدث، وادّعى أنه ضُرب ثلاث مرات.

فاتخذت فرنسا من هذه الحادثة ذريعة للتخلص

مـن ديونهـا للجزائـر مـن جهـة واسـتغلالها لمحاولـة احـتلال الجزائـر والاسـتيلاء علـى خزينتهـا الـتي تحتوي على ١٥٠ مليون فرنك!!

فأرسـلت فرنـسا قطعـة مـن أسـطولها إلى الجزائـر وطلـب قائـده مـن الـداي حـسين الاعتـذار للقنـصل إلا أنـه رفـض، فحاصـر الفرنـسيون الجزائـر ثـلاث سـنوات، تكبـدت فيهـا فرنسا الكـثير مـن النفقـات وضربت تجارة فرنسا، دون أن يعتذر الداي لهم.

وفي عـام ١٨٣٠ قـام ملـك فرنـسا بـإعلان الحـرب علـى الجزائـر وأعطاهـا طابعـاً دينيـاً حيـث اعتبرهـا «حملـة مـسيحية علـى بـلاد البرابـرة المـسلمين»، وأنهـا في صالح كل العالم المسيحي.

وممـا سـاعد علـى فـرض الحـصار والاحـتلال في النهايـة أن الأسـطول الجزائـري كـان قـد تحطـم في معركـة نافـارين في شـبه جزيـرة المـورة باليونـان عـام ١٨٢٧.

جرائم الإحتلال الفرنسي بالجزائر:

لنأخـذ لمحـة سـريعة عـن جـرائم فرنـسا تجـاه الجزائـر والجزائـريين ونقـارن بـين أقـوال الفرنـسيين أنفـسهم، ففـي حـين كـان المنـشور الـذي وزعـه الفرنـسيون في بدايـة الاحـتلال يقـول: «إننـا نحـن أصـدقاءكم الفرنـسيين نتوجـه الآن نحـو مدينـة الجزائـر، أننـا ذاهبـون لكـي نطـرد الأتـراك مـن هنـاك، إن الأتـراك هـم أعـداؤكم وطغـاتكم الـذين يتجـبرون علـيكم ويـضطهدونكم والـذي يـسرقون أملاكـكـم وإنتـاج أرضـكـم، والـذين يهـددون حيـاتكم باسـتمرار، إننـا لـن نأخـذ المدينـة مـنهم لكـي نكـون سـادة عليهـا. إننـا نقـسم علـى ذلـك بـدمائنا وإذا انـضممتم إلينـا، وإذا بـرهنتم علـى أنكـم جـديرون بحمايتنـا فـسيكون الحكـم في أيـديكم كمـا كـان في الـسابق، وسـتكونون سـادة مـستقلين على وطنكم.

إن الفرنـسيين سـيعاملونكم كمـا عـاملوا المـصريين، إخـوانكم الأعـزاء، الـذين لم يفتـأوا يفكـرون فينـا ويتأسـفون علـى فراقنـا طيلـة الـثلاثين سـنة الماضـية، منـذ خرجنـا مـن بلادهـم، والـذين مـا يزالـون يرسـلون أبنـاءهم إلى فرنـسا يتعلمـوا القـراءة والكتابـة ولكـل فـن وحرفـة مفيـدة، ونحـن نعـدكم بـاحترام نقـودكم وبـضائعكم وديـنكم المقـدس، لأن ملـك فرنـسا المعظـم حـامي وطننـا المحبـوب، ويحمي كل دين.

فـإذا كنـتم لا تثقـون في كلمتنـا وفي قـوة سـلاحنا، فابتعـدوا عـن طريقنـا ولا تنـضموا إلى الأتـراك الـذين هـم أعـداؤنا وأعـداؤكم، فـابقوا هـادئين. إن الفرنـسيين ليـسوا في حاجـة إلى مـساعدة لـضرب وطـرد الأتـراك، إن الفرنـسيين هـم، سـيظلون أصـدقاءكم المخلـصين فتعـالوا إلينـا وسـنكون مـسرورين بكـم وسـيكون ذلـك فرصـة لكـم، وإذا أحـضرتم إلينـا الأطعمـة والأغذيـة والأبقـار والأغنـام فنـدفع ثمـن ذلـك بـسعر الـسوق، وإذا كنـتم خـائفين مـن سـلاحنا فأشـيروا علينـا بالمكـان الـذي يقـابلكم فيـه جنودنـا المخلـصون دون سـلاح مـزودين بـالنقود في مقابل التمويل الذي تأتون به».

قـارن هـذا بمـا جـاء في تقريـر اللجنـة الإفريقيـة عـام ١٨٣٣ إلى الحكومـة الفرنـسية الـتي كـانت كلفتهـا بالتحقيق في الجرائم كما يلي:

«لقـد حطمنـا ممتلكـات المؤسـسات الدينيـة وجردنـا الـسكان الـذين وعـدناهم بـالاحترام.. وأخـذنا الممتلكـات الخاصـة بـدون تعـويض.. وذبحنـا أناسـا كـانوا يحملـون عهـد الأمـان.. وحاكمنـا رجـالا يتمتعـون بـسمعة القديـسين في بلادهـم.. لأنهـم كـانوا شجعانا..».

أمـا الـضابط الفرنـسي مونتانيـاك فيقـول: «هـذه هـي طريقتنـا في الحـرب ضـد العـرب.. قتـل الرجـال وأخـذ النـساء والأطفـال ووضـعهم في بـواخر ونفـيهم إلى جـزر المـاركيز البولينيزيـة باختـصار: القـضاء علـى كـل مـن يـرفض الركـوع تحـت أقـدامنا كـالكلاب، لقـد أحـصينا القتلـى مـن النـساء والأطفـال فوجـدناهم ألفـين وثلاثمائـة، أمـا عـدد الجرحـى فـلا يكـاد يـذكر لـسبب بـسيط هـو أننـا لم

نكن نترك جرحاهم على قيد الحياة».

أما سيمون دو بوفوار فكتبت تقول: «منذ عام ١٩٥٤ ونحن جميع الفرنسيين شركاء في جريمة قتل جماعي، أتت تارة باسم القمع وطورا باسم إشاعة السلام على أكثر من مليون ضحية رجالا ونساءً وشيوخا وأطفالا حصدوا بالرشاشات خلال عمليات المداهمة والتفتيش، أو حرقوا أحيانا من قراهم أو ذبحوا أو بقرت بطونهم، أو عذبوا حتى الموت. قبائل برمتها أسلمت للجوع والبرد، للضرب للوباء في مراكز التجميع التي ما هي في الواقع إلا معسكرات استئصال ومواخير عند الاقتضاء للنخبة من فرق الجيش، حيث يحتضر أكثر من ٥٠٠,٠٠٠ جزائري وجزائرية».

ويمكن تعداد صنوف الإجرام الفرنسي تجاه الجزائر بالتالي:

١- توطين الفرنسيين والأوروبيين في أملاك الجزائريين بعد طردهم منها أو قتلهم، وقد وصل عدد المستوطنين إلى مليون مستوطن.

٢- إرهاق الجزائريين بالضرائب، رغم فقرهم، ومصادرة أموالهم والتساهل مع المستوطنين.

٣- إصدار قانون الأهالي (الأنديجينا)، وهو قانون ظالم يكبّل حياة الجزائريين.

٤- مصادرة الأوقاف، ومحاصرة القضاء الشرعي.

٥- منع استخدام اللغة العربية أو تدريسها حتى في البيوت.

٦- تمكين اليهود من الاستيطان في الجزائر ومنحهم الجنسية الفرنسية، حتى وصل عددهم إلى ٣٠ ألف يهودي.

الاحتلال الفرنسي يحارب التعليم ويدعم الطرق الصوفية:

عمل الاحتلال الفرنسي على ضرب التعليم في الجزائر، لأن الشعب المتعلم سيكون شوكة في حلق المستعمر والمحتل، ورغم أن الجزائريين كانوا يتفوقون على الفرنسيين بنسبة التعليم قبل الاحتلال الفرنسي لبلادهم، يقول الجنرال فالز في سنة ١٨٣٤م بأن كل العرب (الجزائريين) تقريبًا يعرفون القراءة والكتابة، حيث إن هناك مدرستين في كل قرية... وكتب الرحالة الألماني (فيلهلم شيمبرا) حين زار الجزائر في شهر كانون الأول عام ١٨٣١م، يقول: (لقد بحثتُ قصداً عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أني لم أعثر عليه، في حين أني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب)..

وقد أحصيت أكثر من ٢٠٠٠ مدرسة في الجزائر سنة ١٨٣٠م، ما بين ابتدائية وثانوية وعالية.

لكن الاحتلال الفرنسي عمل بكل قوة على محاربة العلم والمعرفة في الجزائر، فالفرنسيون عندما دخلوا مدينة قسنطينة في شمالي أفريقيا، أحرقوا كل الكتب والمخطوطات التي وقعت في أيديهم، في سلوك همجي بربري.

وحاربوا المدارس والتعليم، حتى أنه بعد أقل من قرن على (الاستعمار) أصبح أطفال الشعب الجزائري أميين لا يعرف القراءة والكتابة منهم إلا ٥ ٪ سنة ١٩١٤، وذلك بفضل سياسات فرنسا وتعاون الطرقيين معها أحباب الجهل والخرافة!!

كان الفرنسيون يعرفون أن أصحاب الطرق من مشايخ الصوفية في الجزائر سيكونون خير سند لهم، لأنه يبحثون عن مصالحهم المادية وهو ما يمكن لفرنسا أن تمنحهم إياه في مقابل تسكين الشعب الجزائري وقبوله للاحتلال الفرنسي.

ولذلك زادت عدد الطرق وأتباعها بشكل مخيف في الجزائر في عهد الاحتلال، حتى أصبح في العاصمة لوحدها ٢٣ طريقة صوفية، لها ٣٤٩ زاوية، فيها ٥٧ ألف شيخ و٦ آلاف مقدم، ويتبعها ٢٩٥ ألف مريد، وحصيلة تبرعاتهم ٧ ملايين!!

يقول مالك بن نبي في مذكراته «مذكرات شاهد القرن» ص ١٨١: «هكذا كان الناس يشهدون كل عام موكب (القادرية) المهيب يأتي إلى (أفلو). راية ترفرف، وعلى رأسها ابن شيخ الطريقة (المقدّم) يلبس الثياب الخضراء من رأسه

إلى قدميه، إنها ثياب أهل الجنة، وهو ذو ذكاء شيطاني يعرف كيف يبتزّ من السذاجة العامة للناس كل ما يريد.

لقد كان يملك في تلك الفترة في (وادي سوف) بستاناً للنخيل، مؤلفاً من حوالي ألف نخلة، وهو من هبات أولئك الذين يريدون أن يدخلوا الجنة في موكبه».

أما علاقتهم بفرنسا فيلخصها شيخ الطريقة التيجانية محمد الكبير في حديثه للكولونيل يسكوني: «إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا ماديا وأدبيا وسياسيا، إن أجدادي قد أحسنوا صنعا في انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا، ففي عام ١٨٣٨ م كان أحد أجدادي قد أظهر شجاعة - نادرة في مقاومة أكبر عدو لفرنسا (عبد القادر الجزائري) وفي عام ١٨٧٠ حمل سيدي أحمد تشكرات الجزائريين وبرهن على ارتباطه بفرنسا قلبيا، فتزوج من (أوريلي بيكار) وهو أول مسلم جزائري تزوج بأجنبية على يد الكردينال (لا فيجري) على حسب الطقوس المسيحية»، ولا نحتاج لتعليق على هذه الشهادة الصريحة في العمالة والخيانة.

ولذلك كانت معركة ابن باديس مع هؤلاء الطرقيين في البداية، ليطهّر الصف الجزائري قبل أن يصطدم بالفرنسيين.

حركات المقاومة الجزائرية ضد فرنسا

لم يقف الجزائريون مكتوفي الأيدي أمام الاحتلال الفرنسي بل قاوموه وتصدوا له في عدة محاولات كان أبرزها مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري والتي استمرت ١٥ عاما (١٨٣٢ – ١٨٤٧)، ورافقها وتبعها عدد من المحاولات الجهادية لكنها لم تنجح في دحر الفرنسيين وإنما إيقاع خسائر جسيمة بها.

كما كانت هناك عدة محاولات سياسية لمقاومة فرنسا عقب الحرب العالمية الأولى مثل حركة الأمير خالد، حفيد الأمير عبد القادر، والتي عرفت باسم «وحدة نواب المسلمين» سنة ١٩١٩، وحركة «نجم شمال إفريقيا» التي أسسها عدد من العمال المغاربة المهاجرين في فرنسا سنة ١٩٢٦، وحركة «اتحاد المنتخبين المسلمين الجزائريين» سنة ١٩٢٧.

الإصلاح السلفي في الجزائر قبل ابن باديس:

لقد دخلت الجزائر في الإسلام على يد التابعين تحت قيادة أبي المهاجر دينار، ولذلك شهدت الجزائر ظهور العديد من الشخصيات السلفية في تاريخها مثل الفقيه أبي الفضل النحوي من علماء القرن الخامس الهجري، وأبي الحسن علي بن الحق الزويلي (ت ٧١٩هـ)، وتلميذه الحافظ ابن مرزوق الحفيد، وأحمد زروق في القرن العاشر الهجري وتلميذه ابن علي الخروبي، مثلما ظهر عبد الرحمن الأخضري (ت ٩٥٣هـ)، وجاء بعده في القرن الحادي عشر الشيخ عبد الكريم بن الفكون (ت ١٠٧٣هـ)، والشيخ محمد بن عبدالله الجلالي معاصر أحمد التيجاني الصوفي.

ولذلك فالسلفية ليست طارئة على الجزائر بل إن المذهب المالكي الذي يتبعه غالبية الجزائريين هو عين السلفية، ولذلك حين ظهرت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية رأينا بعض الحجاج الجزائريين والمغاربة يؤيدها مثل ملك المغرب المولى سليمان، والسيد محمد السنوسي مؤسس الحركة السنوسية، والمؤرخ الجزائري أبو رواس الناصري الذي كان أول من عرّف الجزائريين بدعوة محمد بن عبد الوهاب.

وكان للطلبة الذين درسوا في جامع الزيتونة أو القرويين أو بتأثير الحركة السنوسية دور في حمل الدعوة السلفية والدعوة الإصلاحية، مثل الشيخ ابن الموهوب والشيخ صالح بن مهنا، والشيخ عبد القادر الجاوي (ت ١٩١٣) والذي من طلابه الشيخ حمدان الونيسي شيخ ابن باديس، والشيخ مصطفى بن الخوجة (ت ١٩١٥) وعمر بن قدور (ت ١٩١٥)، وممن ظهر في هذه المرحلة من المصلحين السلفيين

الأستاذ محمد بن أبي شنب (ت ١٩٢٩) والشيخ عبد الحليم بن سماية (ت ١٩٣٣).

ولا ننسي هنا أن مجلة المنار التي يصدرها العلامة رشيد رضا كانت تصل للجزائر وأن محمد عبده زار الجزائر سنة ١٩٠٣، وقد كان الجزائريون متعلقين بمجلة المنار بصورة كبيرة، لدرجة أنهم طالبوا رشيد رضا بألاّ يتعرض لفرنسا حتى لا تنقطع عنهم المنار!!

مولد ونشأة ابن باديس:



ولد عبد الحميد بن محمد المصطفى بن المكي ابن باديس سنة (١٣٠٨هـ/ ١٨٨٩م) في مدينة قسنطينة لأسرة عريقة بالعلماء والأمراء والسلاطين. ومن أشهر رجالات هذه الأسرة المعز لدين الله بن باديس مؤسس الدولة الصنهاجية (حكم: ٤٠٦-٤٥٤هـ/١٠١٦- ١٠٦٢م) الذي قاوم البدعة ونصر السنة وأعلن مذهب أهل السنة والجماعة مذهبًا للدولة.

ومن أجداده العلماء الشيخ المفتي بركات بن باديس دفين مسجد سيدي قمّوش بقسنطينة، والشيخ أحمد بن باديس الذي كان إماما بقسنطينة أيام الشيخ عبد الكريم الفكون في القرن الحادي عشر الهجري.

وبقيت أسرته من الأسر التي تشارك في الحكم، فجدّه لأبيه: الشيخ المكي بن باديس كان قاضيا مشهورا بمدينة قسنطينة وعضوا في المجلس العام وفي المجلس البلدي، وعمه أحميدة بن باديس كان نائباً عن مدينة قسنطينة أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ورفع عريضة مع ثلاثة من النواب عام ١٨٩١م بأنواع المظالم والاضطهادات التي أصبح يعانيها الشعب الجزائري على يد الإدارة الاستعمارية الفرنسية ومن المستوطنين المهاجرين.

كما أن من عائلة ابن باديس من كانوا قادة كباراً في ثورة الأمير عبد القادر الجزائري وتم أسرهم وسجنهم في باريس، وأفرج عنهم مع الأمير عبد القادر الجزائري في عام ١٨٥٢م وتم نفيهم إلى الشام.

لقي ابن باديس كل عناية ورعاية من والده الذي توسم فيه النباهة، حتى قال له: «يا عبد الحميد، أنا أكفيك أمر الدنيا، أنفق عليك وأقوم بكل أمورك، ما طلبت شيئا إلا لبيت طلبك كلمح البصر، فأكفني أمر الآخرة، كن الولد الصالح الذي ألقى به وجه الله».

وهو ما بقي يعترف به عبد الحميد، فقد قال في حفل ختم تفسير القرآن سنة ١٩٣٨، وأمام حشد كبير من المدعوين ثم نشره في مجلته الشهاب: «إن الفضل يرجع أولاً إلى والدي الذي ربّاني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة، ورضي لي العلم طريقة أتبعها ومشرباً أرده، وبراني كالسهم وحماني من المكاره صغيراً وكبيراً، وكفاني كلف الحياة... فلأشكرنه بلساني ولسانكم ما وسعني الشكر».

أتم عبد الحميد بن باديس حفظ القرآن في سن الثالثة عشرة، ثم تتلمذ على الشيخ حمدان الونيسي، والذي نصحه بنصيحة سار عليها ابن باديس طيلة عمره، حين قال له: «اقرأ العلم للعلم لا للوظيفة»، بل أخذ عليه عهداً ألا يقرب الوظائف الحكومية عند فرنسا.

ثم تاقت نفسه للاستزادة من العلم فسافر لتونس في سنة (١٣٢٧هـ - ١٩٠٨م) والتحق بجامع الزيتونة وبقي هناك أربع سنوات، فدرس على العلماء وخاصة العلاّمة «محمّد النخلي القيرواني» والشيخ العلامة محمّد الطاهر بن عاشور، واستفاد من الشيخ الخضر حسين والمؤرخ البشير صفر والمصلح المجدد سعد الفياض، وقد كان جاداً في التحصيل حتى أنه اختصر دراسة الزيتونة من سبع سنوات إلى ثلاث سنوات فقط، ومكث بعدها سنة يدرس تطوعا على عادة جامع الزيتونة، وبذلك حصل على شهادة التطويع.

ولم يكتف بدروس الزيتونة بل ذهب للجمعية الخلدونية التي كانت تدرس العلوم العصرية مثل الحساب والمساحة والجغرافيا والكيمياء والطبيعيات، فتعلم العلم الشرعي وأصبح على دراية بما يحيط بالأمة من أحوال وتحديات.

ثم في عام ١٩١٣ عاد لدياره ولم يتجاوز عمره ٢٣ سنة، ليباشر التدريس بالجامع الكبير، بسبب نفوذ والده وعلاقاته بالإدارة الفرنسية، لكن المغرضين من أصحاب الأهواء سرعان ما عارضوه وناصبوه العداء، حتى أنهم أطفأوا النور عليه وهو يدرس بالمسجد، فقرر السفر لبيت الله الحرام في نفس العام.

اللقاء بالبشير الإبراهيمي بالمدينة المنورة:

في المدينة لقي ابن باديس الكثير من العلماء المجاورين فيها أو الزائرين لها مثله، ومن أبرز من قابل فيها شيخه القديم حمدان الونيسي الذي طلب منه الإقامة عنده في المدينة، وهو الأمر الذي عارضه الشيخ حسين الهندي الذي أشار عليه بالعودة للوطن وخدمة الإسلام فيه والعربية، وهي النصيحة التي نفذها ابن باديس على أحسن وجه، وبقيت استراتيجيته حيث قال عن نفسه: «فنحن لا نهاجر، نحن حراس الإسلام والعربية والقومية، بجميع مدعماتها، في هذا الوطن».

أبرز ما حدث مع ابن باديس في المدينة تعرفه على رفيق دربه ونضاله فيما بعد الشيخ البشير الإبراهيمي، والذي سبق ابن باديس في سكن المدينة والاستقرار فيها مع والده قبل أكثر من سنة على لقائهما، وبقي هناك حتى ١٩٢٠، حيث جاء للجزائر ليكمل مع ابن باديس طريق الدعوة التي بدأها.

فقد مكث ابن باديس والإبراهيمي ثلاثة أشهر يلتقيان يوميا بعد العشاء وحتى الفجر يتدارسان أحوال الجزائر وكيفية إصلاحه وبث النهضة الدينية والعلمية والسياسية فيه. وقد بين لنا البشير الإبراهيمي محتوى هذه اللقاءات حين قال: «وأشهدُ الله على أن تلك الليالي من عام ١٩١٣ هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعيّة العلماء المسلمين والتي لم تبرز للوجود إلا عام ١٩٣١».

العودة للجزائر:

في عودته للجزائر زار ابن باديس بلاد الشام ومصر حيث اجتمع برجال العلم والأدب وأعلام الدعوة السلفية، وزار الأزهر واتصل بالشيخ بخيت المطيعي حاملاً له رسالة من الشيخ الونيسي، فرحب به وأجازه ومنحه العالمية الأزهرية، وقد منحته هذه الرحلة معرفة واقع البلاد الإسلامية مما وسع مداركه وأكسبه خبرة غنية بتجارب سابقة، كما مكنته من التعرف بقادة الإصلاح فيها، ولذلك سنجد فيما بعد أن ابن باديس له صلات بكثير من رجالات الإصلاح في العالم العربي، وأن كثيراً من رجالات الإصلاح يتابع أخبار ومجلات ابن باديس.

حين وصل ابن باديس للجزائر، قام بعدة جولات بالقطار لأرجاء الجزائر ليتعرف عليها ويتعمق في فهم مشكلاتها.

بداية الدعوة والجهادي الفردي:

منذ عودة ابن باديس نهاية عام ١٩١٣ وحتى تأسيس جمعية العلماء المسلمين سنة ١٩٣٠، سيكون ابن باديس شعلة من النشاط والحركة في سبيل نهضة الجزائر وتحررها، من خلال إنشاء جيل جزائري جديد يقوم بهذه المهمة.

فمنذ عودته بدأ بإلقاء الدروس في المسجد الكبير ثم تحول للمسجد الأخضر وهو المركز الرئيس لنشاطه ومساجد سيدي قموش وسيدي عبد المؤمن وسيدي بومعزة وسيدي فتح الله، حيث استحصل له أبوه على تصريح بذلك، ولم تقتصر دروسه على الكبار، بل خصص دروساً للصغار أيضاً بعد خروجهم من درس الكتاتيب القرآنية، وهذا أمر لم يكن معهوداً قبله.

وكانت دروسه تقام طوال النهار والليل، حيث كان يدرس عشرة دروس في اليوم، يتنقل فيها بين المساجد والنوادي، فانهال عليه الطلاب من كل مكان، حتى أصبح عنده أكثر من ألف طالب، وكان يستعين بأهل الخير على إيوائهم وإطعامهم.

وهذا تطلب منه التفكير في إنشاء مدرسة ابتدائية قرب مسجد بو معزة، ثم تنتقل إلى مبنى الجمعية الخيرية الإسلامية التي تأسست في عام ١٩١٧، ثم في سنة ١٩٣٠ عرفت باسم مدرسة التربية والتعليم، تضمن قانون الجمعية: أنها تسعى «لنشر الأخلاق الفاضلة، والمعارف العربية والفرنسية، والصنائع اليدوية، بين أبناء وبنات المسلمين»، وذلك من خلال تأسيس مدرسة للتعليم، وملجأ للايتام، وناد للمحاضرات، ومعمل للصنائع، وإرسال بعثات طلابية للدراسة في الكليات والتدرب في المعامل الكبيرة على نفقة الجمعية.

ومن سعة أفق ابن باديس أن جعل تعليم الفتيات مجانياً بخلاف الطلاب الذين يدفع المقتدر منهم رسوماً رمزية،

وذلك لتشجيع التعليم بين الفتيات.

وفي هذا يظهر سبق ابن باديس لإنشاء المدارس والجمعيات وتعليم الفتيات خصوصاً، على كثير من الدعوات والتجمعات العلمانية، ولكن للأسف أن هذا الميراث من السبق الحضاري يتنكر له كثير من محبي ابن باديس اليوم بلسان الحال إن لم يجمعوا لسان المقال أيضاً.

ومن هذه المدرسة نشأ جيل كامل في الجزائر متشبع بقيم الإسلام ولغته وآدابه، ويستطيع الخطابة ونظم الشعر وإلقاء المحاضرات، وقد أرسل بعض هؤلاء الطلبة للتوسع في العلم بجامع الزيتونة، وبعض آخر للتدرب في المعامل الكبري، وقد اعتمد ابن باديس على هذا الجيل في إنشاء جمعية العلماء المسلمين والقيام بمشروعه الإسلامي الكبير بمقاومة الاحتلال الفرنسي، بعد أن عمل بهدوء ودون ضجة لسنوات عديدة. ومع تدريسه للطلاب إلا أنه أيضاً كان يخصص يوماً لتعليم العمال ويوماً لتعليم النساء.

وبعد أن انتشرت الدروس في المساجد وأنشأ المدرسة، فكر ابن باديس بالتوسع في نشر فكره ومشروعه فدخل عالم الصحافة، ففي البداية تعاون مع جريدة النجاح (تأسست ١٩١٩) في الكتابة والتحرير، حيث كان يكتب بأسماء مستعارة هي القسنطيني والعبسي والصنهاجي، ثم وجد أنها لا تلبي طموحه فقام بتأسيس صحيفة «المنتقد» الأسبوعية في عام ١٩٢٥ والتي شنت حملة قوية على العقائد الفاسدة والخرافات الشائعة، واستمرت «المنتقد» ١٨ عدداً ثم أوقفت بقرار تعسفي من الإدارة المحتلة.

وصحيفة المنتقد جاءت كمرحلة جديدة في دعوة ابن باديس وجهاده، إذ رأى ابن باديس أنه بعد ١٠ سنوات من التعليم، حان الوقت لمهاجمة الطرقية وخرافاتها بقوة، ولذلك جاء هذا الاسم «المنتقد» والذي يهاجم بشكل مباشر وفي الصميم المبدأ الصوفي الطرقي الضال «لا تعترض فتنطرد»، والذي يراد به إلغاء العقول والتفكير والاكتفاء بدور التبعية والتقليد للشيخ مهما كان موقفه خطأ أو ضلالاً.

ولكن قناة ابن باديس لم تهن أو تلين فبعد شهر يصدر جريدة «الشهاب» الأسبوعية تحت شعار «تستطيع الظروف أن تخيفنا، ولا تستطيع بإذن الله إتلافنا»، وفي عام ١٩٢٩ تحولت إلى مجلة شهرية بسبب المضايقات من قبل الإدارة الفرنسية، وكان شعارها: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»..

ومن أجل ضمان استمرار صدور المجلتين أنشأ ابن باديس المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة سنة ١٩٢٥، ليتجنب عوائق صدورهما إذا كانتا تطبعان في مطبعة مستأجرة!!

وفي هذه المرحلة يعود زميله الشيخ البشير الإبراهيمي سنة ١٩٢٠ ليتعاونا في الإصلاح، ويكون لهما لقاء كل أسبوعين أو شهر على الأكثر، لأن البشير الإبراهيمي جعل مركز نشاطه في مدينة سطيف، وفيما بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين سيتقاسم أقطاب الحركة الإصلاحية المسئولية العلمية في المقاطعات الجزائرية الثلاث، حيث سيبقى ابن باديس مشرفاً على مقاطعة قسنطينة بما تضم من القرى والمدن، فيما يتولى الإبراهيمي مسئولية مدينة تلمسان العاصمة العلمية في الغرب الجزائري، أما الشيخ الطيب العقبي فسيكون مشرفاً على مقاطعة الجزائر.

ومن الواضح في مسيرة ابن باديس أنه يحاول أن يتجاوز أخطاء وعثرات تجارب المصلحين الجزائريين السابقين، فهو يتجنب أن تكون دعوته ضيقة النطاق سواء على صعيد الجغرافيا أو الشريحة المستفيدة، كما أنه يتجنب أن تكون دعوته فردية مرتبطة بشخصه ولذلك ينشئ مؤسسات: مدرسة/ مجلة/ مطبعة...، ويسعى للتكامل مع زملائه وعدم حصر الدعوة في مكان محدد فيتوزعون على المناطق ويلتقون دورياً، ويحاول أن يتطور مع الأحداث والمستجدات فلا يبقى بنفس الأسلوب مع تطور دعوته وقوته ولذلك نجده يتنقل من المسجد لفتح جمعية، ثم مدرسة، ثم يرسل بعثات للخارج، جريدة ومجلة، ثم مطبعة.

في الحلقة القادمة: مرحلة الدعوة والجهاد الجماعي.. تأسيس جمعية العلماء المسلمين.

صفحات من تاريخ الباطنية (٦):
"أبو عبد الله الشيعي" و"عبيد الله المهدي"... (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا..) (٢)

نوفل الجبلي(*) - خاص بـ «الراصد»

تمهيد..

تمكّن أبو عبدالله الشيعي الصنعاني من إقامة دولة شيعية في الشمال الإفريقي، ونجح في تثبيت دعائم الحكم بواسطة زعماء قبيلة كتامة(١)، وأعلن في الناس أن إمامهم الحقيقي هو عبيدالله بن ميمون، وأنه هو المهدي المنتظر الذي بشر به النبي ﷺ، وضحك على عقول الناس بقوله إنه صاحب المعجزات الخارقة، والمناقب الباهرة، واستهوى قلوبهم وانخدع بأكاذيبه خلق كثير.

قدوم عبيد الله إلى المغرب..

أرسل الشيعي إلى عبيد الله أن يأتي إلى القيروان، ليتولى زمام الحكم، ويدير شؤون المملكة الناشئة، فخرج عبيدالله وابنه القاسم من بلدة سلمية في الشام، في العام الثاني والتسعين بعد المائتين هجرية (٢٩٢ هـ).

ولكن عبيدالله لم يقرر الخروج من سلمية إلا وقد وصل أمره إلى الخليفة العباسي المكتفي، والذي قام بمطاردته ومراسلة أمراء المناطق التي سيدخلها بضرورة القبض عليه، فخرج وهو متنكر بزي التجار إلى مصر، ثم إلى برقة، ثم طرابلس، ولم يقع في قبضة أمراء هذه المناطق، حتى وصل إلى سلجماسة، وهناك وقع في أسر أميرها اليسع بن مدرار، الذي قام باعتقاله وأودعه السجن(٢).

فحشر أبو عبدالله الشيعي جنده وجهز جيشاً جراراً في العام (٢٩٧هـ) ، وسار على رأس الجيش يريد استنقاذ إمامه المسجون، فهرب اليسع بن مدرار حين وصل الجيش إلى مشارف بلدته(٣)، وحطّم الشيعي دولة بني مدرار وضمها إلى ملكه، وخلّص عبيدالله وابنه من السجن، وفي طريق العودة أزال هذا الجيش دولة بني رستم، وأصبح المغرب الأوسط إلى تلمسان دولة عبيدية، وسموها دولة فاطمية، نسبة إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ بغرض خداع الناس وتضليلهم(٤).

الإمام يقصي الداعية..

لما وصل عبيد الله المهدي إلى القيروان تمت بيعته، وذلك في العام السابع والتسعين

(*) باحث يمني.

(١) من أبرز الزعماء الذين اتكأ عليهم: غزوية بن يوسف، سيد كتامة ومطاعها.

(٢) ذكرت بعض الكتب التاريخية قصصاً ملفقة عن نجاة عبيدالله من قبضة أمراء البلدان التي كان يدخلها، منها ما ذكره المقريزي في كتابيه (اتعاظ الحنفا والخطط) وغيرهما.

(٣) انظر (اتعاظ الحنفا) للمقريزي.

(٤) انظر (الدولة الفاطمية) للدكتور الصلابي.

بعد المائتين (٢٩٧هـ)، وبذلك انتهت فترة حكم أبي عبدالله الشيعي، والتي استمرت عشر سنوات[١].

وما إن تمّت البيعة وانتقلت السلطات إلى يديه حتى باشر عبيدالله المهدي إدارة البلاد بنفسه، وجرّد أبا عبدالله الشيعي وأخاه أبا العباس من جميع مناصبهما السياسية ومهامهما القيادية، وأقصاهما عن شؤون القيادة والحكم، مما حزّ كثيراً في نفس أبي العباس، فظل يقول لأخيه يحرّضه على عبيدالله: «ملكتَ أمراً، فجئت بمن أزالك عنه، وكان الواجب عليه أن لا يسقط حقك»[٢].

هذا الإقصاء أثر بشكل أو بآخر على أبي عبدالله الشيعي، فقد ذهب إلى عبيدالله المهدي وقال له: «لو كنتَ تجلسُ في قصرك، وتتركني مع كتامة آمرهم وأنهاهم، لأنني عارف بعاداتهم، لكان ذلك أهيب لك في أعين الناس»[٣]، وقوله هذا لا يدل على نية لديه بالانقلاب على عبيدالله، وإلى الآن لم يبدأ في التحرك ضد عبيدالله المهدي.

بينما يرى بعض المؤرخين أن الخلاف وقع بين عبيد الله المهدي، وأبي عبد الله الشيعي على الأموال التي استأثر بها النزق الكاذب عبيد الله المهدي، وبعضهم يرى أن أبا عبد الله الشيعي شك في عبيد الله المهدي بأنه ليس المهدي المنتظر[٤].

الداعية يشك في مهدية الإمام..

لعل سوء المعاملة التي لقيها أبو عبد الله الشيعي كشفت له حقيقة من كان يدعو إليه، وأظهرت عواره، وأبرزت قبائحه ورذائله، فتسرّب الشك إلى قلب أبي عبدالله بأن صاحبه ليس هو المهدي المنتظر.

وكانت شكوكه هذه ناتجة عن أحداث وجدها مخالفة لما يعتقدونه في المهدي، فمن ذلك مثلاً: أن المهدي يعلم الغيب، لكن عبيدالله ليس كذلك، والدليل أن عبيدالله المهدي كان له ولدان، وقد نصّ على أن الأمر بعده في أصغرهما، ولكن الصغير هذا مات بعد عشرين يوماً!

ومن المسائل التي أثارت زوبعة الشك في قلب أبي عبدالله: أن الإمام لا يلبس الحرير، ولكن عبيدالله يلبسه. وأن الإمام ليس يطأ من النساء إلا ما تحقق أمره، وعبيدالله قد وطئ نساء زيادة الله الأغلبي[٥].

وقد انتقل هذا الشك إلى قلوب بعض زعماء كتامة من خلال حديث أبي عبدالله معهم، فذهب بعضهم إلى عبيدالله المهدي يناقشونه فيما وجدوا من المسائل، فأجابهم إجابات تدل على مدى استخفافه بعقول الناس، ومن ذلك أنه قال لهم بشأن عدم علمه بالغيب وبموت طفله: إن الطفل لم يمت، وإنه أمامك، وإنما الأئمة ينتقلون، وقد انتقل لإصلاح جهة أخرى!.

وذكر لهم سبب لبسه للحرير ونكاحه لنساء الأغلبي فقال: أنا نائب الشرع أحلل لنفسي ما أريد، وكل الأموال لي، وزيادة الله كان عاصيًا[٦]!.

لكنه وجد أن شكوكهم أقوى من حججه الواهية، فدفعه هواه إلى استخدام

(١) انظر (الموسوعة المغربية) للدكتور الغنيمي.
(٢) انظر (اتعاظ الحنفا) للمقريزي.
(٣) انظر (اتعاظ الحنفا) للمقريزي.
(٤) انظر (الدولة الفاطمية) للدكتور الصلابي.
(٥) انظر (سير أعلام النبلاء) للذهبي.
(٦) انظر (الدولة الفاطمية) للدكتور الصلابي.

السيف في حق كل من يشك في أمره؛ حيث جاءه بعض أبناء كتامة وقال: «إن كنت المهدي فأظهر لنا آية، فقد شككنا فيك» فقتله عبيدالله[1].

وغدر بأبي زاكي الإيكجاني[2] - وهو أحد أبرز المشككين في عبيدالله- حيث سيّره والياً على طرابلس، وكتب إلى عاملها سراً بقتله، فقتله العامل فور وصوله وأرسل برأسه إلى عبيدالله[3].

الإمام يقتل داعتيه..

حين وجد أبو عبدالله الشيعي هذا العنف في حق كل من يشك في أمر عبيدالله المهدي، أيقن أنه قد تغير عليه وأنه قاتله لا محالة.

حان أجل أبي عبدالله الشيعي، فقد أعدّ له عبيدالله المهدي رجالاً يقتلونه وأخاه أبا العباس، ودعاهما إلى قصره فلما وصلا إلى قرب القصر حمل القوم على أبي عبدالله، فقال: لا تفعلوا!، فقالوا له: إن الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك، فقُتل هو وأخوه في اليوم الذي قُتل فيه أبو زاكي، وذلك يوم الإثنين للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين (٢٩٨هـ) بمدينة رقادة[4]. فما أقبح نكران الجميل، وما أسوأ التنكُر لمن أحسن!.

وبهذا انتهت قصة الرجل الأول في الدولة العبيدية على يد مَن كافح وناضل ومكر وكذب وحرَّش واستحل الدماء من أجله. وقد صدق الله القائل في محكم تنزيله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

لفتات سريعة مما سبق..

إلى كل داعية ومصلح ومُربٍّ.. لا تدعُ إلاّ إلى ما يقره شرع الله الحكيم، وما يوافق سنة رسوله الأمين، فإن الدعوة والتربية مسؤولية ليس يتحمل آثارها إلا الداعية..

حينما يكون الأمر والحكم في أيادي أصحاب العقائد الفاسدة، فإنك لا تستغرب إن وجدت منهم كل غدر وخيانة وتنكُر لمن أحسن إليهم - فضلاً عن جرائمهم في حق من عاداهم- فما أشبه ما فعله عبيدالله المهدي بداعيته في المغرب، وما فعله أصحاب الثورات القومية والاشتراكية في القرن الماضي في مصر واليمن والعراق وسورية وغيرها، وكذلك ما فعله الخميني برفاقه في الثورة ضد الشاه، إذ ما لبثوا أن تولوا مقاليد الحكم حتى قتلوا رفاقهم، ودبروا لهم المكائد، وحاكوا ضدهم المؤامرات..

(من دعا إلى ظالم سلّطه الله عليه) سنةٌ ماضية، وحكمة ليس يخطؤها الزمان.. فلينظر الداعي إلى ما يدعو، وليتخذ العظة والعبرة من التاريخ..

---

(١) انظر (اتعاظ الحنفا) للمقريزي.

(٢) هو: أبو زاكي تمام بن معارك الإيكجاني، كبير المشككين في عبيدالله المهدي كما يصفه المقريزي في (اتعاظ الحنفا).

(٣) انظر (اتعاظ الحنفا) للمقريزي.

(٤) انظر (اتعاظ الحنفا) للمقريزي.

العراق حين يُستباح جيوستراتيجيا

بوزيدي يحيى(*) –خاص بالراصد

برزت حكومة المالكي إلى الواجهة الإقليمية في المرحلة الأخيرة عبر ثلاثة تفاعلات دولية تمثلت في ترؤس الجامعة العربية بعد عقد قمتها الأخيرة في بغداد، والموقف المساند للنظام السوري منذ بداية الثورة، واحتضان بغداد للجولة الثانية من المفاوضات بين إيران ومجموعة (٥+١) المزمع عقدها في ٢٠١٢/٥/٢٣، في الحدثين الثاني والثالث يظهر جليا الدور الإيراني حيث حاولت إيران نقل مكان الجولة الأولى من المفاوضات حول ملفها النووي من أنقرة إلى بغداد بسبب الموقف التركي من الثورة السورية، وهو الموقف الذي تتماهى فيه حكومة المالكي مع طهران وتصطف إلى جانبها فيه، أما الموقف الأول وهو ترؤس الجامعة العربية فعندما يقرن بالتصعيد الإيراني ضد دول مجلس التعاون الخليجي بعد زيارة الرئيس أحمدي نجاد للجزر الإماراتية المحتلة وزيارة المالكي إلى طهران التي تحدث فيها مسؤولون إيرانيون عن الوحدة الكاملة بين البلدين والصمت العراقي التام تجاه كل الاستفزازات الإيرانية تعكس مدى سيطرة الولي الفقيه على القرار العراقي وكيف أصبح مطية وأداة لتحقيق مصالحها على حساب المصالح العربية التي يفترض بها أن تدافع عنها على الأقل خلال ترؤسها للجامعة العربية.

(*) باحث جزائري.

تركيا في خط المواجهة

يعتبر الكثير من الإسلاميين أيديولوجية حزب العدالة والتنمية بعيدة كثيرا عن المضامين الإسلامية الحقيقية نظرا لمواقفه التي أثارت الكثير من الاستهجان أبرزها نصح رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان الإخوان المسلمين في مصر خلال زيارته للقاهرة بتبني العلمانية. ومواقف مثل هذه لا يمكن وصف صاحبها إطلاقا بالتعصب والانغلاق أو الطائفية وغيرها من التهم التي تطلق على كل من يفتح موضوع علاقة الطبقة السياسية الشيعة في العالم العربي بإيران.

وحين يصدر عن نفس الشخص موقف يتهم فيه المالكي بالطائفية فمعنى ذلك أنه توجد حقائق واقعية هي التي دفعته إلى التصريح بها، وأنه يدرك حقيقة الأوضاع هناك وأن كل ما يقوم به المالكي هو سياسة ممنهجة لها أهداف بعيدة المدى، والأهم من هذا كله أن أنقرة كغيرها من العواصم تدرك جيدا حقيقة الدور الإيراني في هذه السياسة تخطيطا وتنفيذا وتحديدا بإشراف قاسم سليماني قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الذي يوصف بالرجل الأول في العراق[1]، وأن المالكي في المحصلة الأخيرة مجرد أداة بيده يقوم بدوره على أحسن وجه

(١) تقرير: قاسم سليماني قائد قوات القدس الإيرانية صانع الملوك في العراق، القدس العربي، ٢٠١١/٠٧/٢٩.

وهـذا مـا دفـع الإيـرانيين إلى التمـسك بـه وإلـزام أو إجبـار القـوى الـشيعية الأخـرى بالتحـالف معـه في معركـة تأسـيس الحكومـة ضـد القائمـة العراقيـة في الانتخابات التشريعية السابقة.

لـيس صـعباً أن يقفـز هنـا خطـاب العثمانيـة الجديـدة وتفسر تـصريحات أردوغـان علـى أنهـا جـزء مـن المشروع العثمـاني الـذي جـاء بـه وزيـر الخارجيـة التركـي أحمـد داوود أغلـو وأنـه صـراع بـين العثمـانيين والفارسـيين، ولكـن الـسياسة الخارجيـة التركيـة أبعـد مـا تكـون عـن هـذا الخطـاب رغـم كـل طموحاتهـا الإسـتراتيجية الـتي عبّـر عنهـا مـؤخرا أغلـو بحديثـه عـن شـرق أوسـط جديـد يتـشكل وتقـوده تركيـا، فـالموقف التركـي الأخـير انطلـق مـن جملـة تحـديات ومخـاطر علـى أمنهـا القـومي علـى المـستوى القريـب بعـد تفجـر الثـورة الـسورية والـدور الإيرانـي والعراقـي في محاولـة إجهاضـها إلى جانـب النظـام ممـا تـسبب في تـأزم الأوضـاع أكثـر واتجاههـا نحـو الأسـوأ وهـو مـا يعـني تحقـق الـسيناريو الـذي حاولـت أنقـرة تجنبه بمختلف الوسائل.

أمـا علـى المـستوى المتوسـط والبعيـد فإنهـا تخـشى مـن تـأزم الأوضـاع كـثيرا في العـراق مـن خـلال سياسـات المـالكي الإقـصائية للقـوى الـسياسية الـسنية خاصـة بعـد اتهـام نائـب رئـيس الجمهوريـة طـارق الهـاشمي بـالوقوف وراء تفجـيرات واغتيـالات، ومـآلات العمليـة الـسياسية ومـا قـد يـنجم عنهـا مـن حالـة لا اسـتقرار تـؤدي إلى تقـسيم العـراق أو الـدخول في دوامـة مـن العنـف تهـدد أمـن واسـتقرار تركيـا الـتي تعاني من المشكلة الكردية.

مكان العراق في طاولة المفاوضات

سـبق أن أجـرى الأمريكيـون والإيرانيـون مفاوضـات حـول مـصالح ونفـوذ كـل طـرف منهمـا في العـراق، واليـوم سـتجري المفاوضـات حـول الملـف النـووي الإيرانـي في بغـداد والـسؤال الـذي يطـرح هـو عـن موقـع ودور بلـد كـان بـالأمس القريـب محـل مفاوضات بين البلدين لتقاسم النفوذ فيه؟

بكـل تأكيـد لا مجـال هنـا للمقارنـة بـين حكومـة المـالكي وحكومـة أردوغـان الـتي بـادرت الـسنة الماضـية إلى اقـتراح مـع البرازيـل بتبـادل اليورانيـوم المخـصب علـى أراضـيها ووجـدت طهـران في ذلـك الاقـتراح فرصـة للالتفـاف علـى العقوبـات وربـح الوقـت وإحـراج الغـرب فهرولـت لعقـد الاتفـاق هنـاك رغـم أنـه لم يـنجح في إيجـاد حـل للمـأزق النـووي، ولكنـه يعكـس وجـود دولـة تركيـة لهـا مكانـة وإرادة سياسـية وكلمـة مـسموعة اضـطرت طهـران أيـضا إلى الرضـوخ للأمـر الواقـع وعقـد الجولـة الأولى مـن المفاوضـات مـن المكـان الـذي توقفـت فيـه أي في أنقـرة رغـم تـصريحاتها بنقلـها إلى دمـشق أو موسـكو والـتي ووجهت بردود فعل قوية من أردوغان.

أمـا حكومـة المـالكي فهـي تفتقـد كـل المقومـات للقيـام بعُـشر هـذا الـدور لأن علاقتهـا مـع واشـنطن وطهـران هـي علاقـة العبـد بالـسيد وموقعهـا في طاولـة المفاوضـات لـن يتجـاوز دور نـادل الفنـدق الـذي يقـوم بخدمـة الـضيوف ويـوفر لهـم كـل وسـائل الراحـة لا أكثـر، والتحلـيلات الـتي تحـدثت عـن إصـرار طهـران علـى عقـد القمـة في بغـداد كمحاولـة لـدعم حكومـة المـالكي إقليميـا لا تـصمد أمـام الحقـائق الموضـوعية المـشار إليهـا، وحـديث الـبعض الآخـر مـن المتـابعين لزيـارة المـالكي الأخـيرة إلى العاصـمة الإيرانيـة عـن حثـه الإيـرانيين علـى تقـديم تنـازلات منهـا: القبـول بالتبادليـة وعـدم التمـسّك بأسـبقية رفـع العقوبـات علـى وقـف التخـصيب، ومطـالبتهم بإيـضاحات أهمهـا أن الأمـريكيين يريـدون مـن المرشـد خـامنئي التأكيـد علـى فتـواه الـسابقة بتحـريم امـتلاك الـسلاح النـووي وشـرحها وتكرارهـا، لا تعـدو أن تكـون مجـرد تـصريحات إعلاميـة بروتكوليـة لا غـير لأن الزيـارة كانـت تهـدف في حقيقتهـا للحـصول علـى ضـمانات أكثـر مـن الإيـرانيين للمـالكي بالـضغط علـى القـوى الـسياسية المناهـضة لـه وفي مقـدمتها التيـار الـصدري والأكـراد الـذين أعربـوا عـن امتعاضـهم مـن اتجـاه المالكي نحو الديكتاتورية.

وإذا كانـت إيـران سـتفاوض في جولـة بغـداد علـى أن يكـون أي تراجـع في برنامجهـا النـووي يقابلـه

اعتراف بدورها الإقليمي ونفوذها في المنطقة، فلا شك أن مكان احتضان المفاوضات سيكون محل تفاوض في نفس الوقت، وحديث الإيرانيين عن وحدة كاملة بين العراق وإيران يعكس في مضامينه ما يريده الإيرانيون في العراق وهو السيطرة الكاملة على البلد وعلى كل مقدراته التي ليس آخرها استغلال إيران لنفط العراق ونهبه.

الهيمنة الإستراتيجية

في دراسته عن مستقبل المكانة الإقليمية لإيران سنة ٢٠٢٠ خلص الدكتور وليد عبد الحي إلى أن العراق يمثل مكسبا كبيرا لإيران من ناحية، ونقطة تهديد من ناحية أخرى، وهو ما سيجعل من العراق الإقليم الأكثر رخاوة والأكثر جذبا للنزوع الجيوستراتيجي لإيران نظرا لأن قدرة العراق على التهديد ما تزال قائمة في حالة بقاء القوات الأمريكية فيها، ولكن العراق الضعيف حاليا يمثل نقطة إغراء لتوسيع النفوذ في حالة انسحاب القوات الأمريكية، وهو ما يترتب عليه أن العراق سيكون نقطة الجذب في كل الحالات[(١)].

بعد سنة من مغادرة القوات الأمريكية للعراق تحقق السيناريو الذي توقعه الدكتور وليد عبد الحي وهذه هي الحقيقة التي لم يستوعبها الكثيرون لفهم طبيعة الدور الإيراني في احتلال العراق، رغم أن الإيرانيين أنفسهم لم يخفوا مطامعهم ومطامحهم الإيرانية، فحسب مصادر إيرانية وثيقة الصلة بمطبخ صناعة القرار الأعلى تُولي طهران اهتماما خاصا بالساحة العراقية باعتبارها البوابة التي منها يجب أن تهزم سياسة أمريكا المرتكزة إلى إحلال النفوذ الأمني والاستخباراتي بديلا عن النفوذ العسكري المباشر![(٢)]

(١) وليد عبد الحي، إيران مستقبل المكانة الإقليمية عام ٢٠٢٠، الطبعة الأولى، الجزائر: مركز الدراسات التطبيقية والاستشراف، ٢٠١٠، ص٣٩- ٤٠.

(٢) محمد الصادق الحسيني، ملء الفراغ الأمريكي بحسن الجوار الإيراني، القدس العربي، ٢٠١١/٠١/٠٩.

بل ذهبت إلى أبعد من ذلك بكثير عندما لم تتوقف عند التعاون مع الولايات المتحدة في احتلال العراق والدفع بالأحزاب الشيعية التي كانت تحتضنها إلى المقدمة لتساهم في إحداث شرخ اجتماعي وسياسي لا يخدم غير إسرائيل، أو إضعاف العراق والتحكم فيه من خلال عملائها الطائفيين كما هو مخطط له حتى لا يشكل خطرا على أمنها القومي وإنما تجاوزته لتحقيق أغراضها الإستراتيجية في المحيط الإقليمي حيث تعمل حكومة المالكي وتسخّر كل إمكاناتها لدعم النظام السوري وإجهاض الثورة من خلال فتح المجال الجوي للطيران الإيراني لمد النظام ودعمه بكل المعدات والمساهمة في زعزعة أمن واستقرار دول الخليج لدفعها لتغيير موقفها من الثورة السورية.

العراق أولا

كشفت حرب أكتوبر ١٩٧٣ عما يستطيع العرب إنجازه بتوحدهم وتعاونهم واستغلال كل إمكانياتهم في خدمة مشاريعهم ومصالحهم، وكيف كانت النتيجة حين قام الشاه بتوفير البترول للسادات، لا شك أن الإنجاز كان عظيما وأدرك العالم كله حقيقة وجود كتلة متعاونة في الشرق الأوسط بجناحيه العرب وإيران، وهذا هو الدور الذي كان مرجوا من الجمهورية الإسلامية بعيد التحول الذي أحدثته ثورة ١٩٧٩ ومواقف الملالي يومها التي كانت تصب في هذا الإطار وجعلت الكثير من القوى السياسية العربية تهلل للخميني وتهتف له.

غير أننا قبل الاسترسال في هذه الأمنيات والأحلام التي تدغدغ العواطف يجب علينا التوقف عند حقيقة أخرى تجسدت في كل الحروب العربية الإسرائيلية رغم كل المؤاخذات عليها إذ أنه لا مجال لنفي أهمية العراق بالنسبة للعرب الذي كان سندا لسوريا والأردن وقدم الغالي والنفيس في تلك الحروب وسخر كل إمكانياته إلى جانب الدول الأخرى، لذا فإن أهمية العراق بالنسبة للعرب هي أهم من إيران بكثير والطريق إلى كتلة إسلامية

تمتد إلى بلاد فارس يمر عبر العراق أولا. فهو يمثل حاليا بارومیتر للعلاقات العربية الإيرانية وسياسة طهران الخارجية في المنطقة، وفي هذه المرحلة فإن استمرار الموقف العراقي المؤيد لإيران والدور الذي تقوم به حكومة المالكي من خلال التفاعلات الدولية الثلاث التي أشرنا إليها في بداية المقال يبين أن الملالي ماضون في مخططاتهم ومشاريعهم حتى النهاية وأن مواجهتهم تقتضي الحزم والحسم بنفس الأدوات ولنا في تدخل درع الجزيرة في البحرين نموذج، كما يجب أن يكون التنسيق التركي العربي حول سوريا مقدمة لتعاون إستراتيجي لإيجاد سبل أخرى لمواجهة إيران بدل الجري وراء سراب أكذوبة حسن الجوار.

الدور السياسي للكنيسة.. الإجهاض نموذجا

فاطمة عبد الرؤوف[*] –خاص بالراصد

استفزني ذلك العلماني الشهير، نجم الفضائيات، وهو يصيح بانفعال وتهكم ويشيح بيديه ما دخْل الدين في السياسة؟ الدين شيء والسياسة شيء مختلف تماما وبنبرة ثقة وتعال أخذ يتحدث عن أن المجتمعات المتقدمة حدث فيها طلاق نهائي بين الدين والسياسة منذ أمد بعيد بعد أن تم تجاوز مخلفات العصور الوسطى. وأنهى العلماني الشهير حديثه بأن الكنيسة لا شأن لها بعالم السياسة في الغرب ومن ثم فعلى المسجد أن يحذو حذوها ويتوقف عن التدخل في شئون السياسة إذا أردنا أن نلحق بركب التقدم.

والحقيقة أن ما استفزني في هذا الكلام المعاد المكرر هو ذلك الكذب القبيح الذي يمارسه هؤلاء العلمانيون بلا خجل وكأنهم يطبقون القاعدة التي تقول «الشيء إذا تكرر تقرر»، أو تلك العبارة الهتلرية «اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس».

وبما أنهم يمتلكون النصيب الموفور من وسائل الإعلام المؤثرة – حتى بعد ثورات الربيع العربي التي شهدت بأن المزاج العام للجماهير العربية إسلامي – لذلك فهم يكررون على أسماعنا هذا الهراء وتلك الأكاذيب التي تصور الغرب وكأنه كيان علمي موضوعي بعد أن خلع الصليب من عنقه وترك أفكار الكهنوت في الكنيسة لا تتعداها إلى عالم الحياة الواقعية، وهي أكاذيب وأغاليط تنم عن عدم فهم الغرب أو الإصرار على رؤيته من منظور يستبعد الدين حتى لا يتحول الدين إلى رقم مؤثر في معادلة الصراع الحضاري القائمة والتي يتعامى عنها العلمانيون في بلادنا.

أما ما آلمني فهو ذلك الحوار الذي سمعته بين عدد من البسطاء على هامش انتخابات الرئاسة في مصر وهل يختارون رئيساً ذا خلفية إسلامية أم لا فقد تحدث رجل بسيط بنفس منطق العلماني الشهير وهو يصرخ في محاولة لتقليد أسلوبه أيضا ويقول: يا ناس الدين مقدس والسياسة قذرة فكيف يجتمعان؟!

فهل من الممكن حقا أن ينفصل الدين عن الحياة وعن السياسة ويحاصَر في زوايا المساجد وكيف نفعل بهذه التشريعات الواضحة التي جاءت لتنظيم أمور المجتمع وهل مقولة «اعط ما لله لله وما لقيصر لقيصر» هي التعبير المثالي عن العلاقة بين الدين والحياة، ولكن من يحدد ما هي حقوق الله وما هي حقوق القيصر.. ذلك القيصر الذي مجّدناه بعد أن حررنا الإسلام من ربقته وقيوده وظلمه.

وهل حقا أن الغرب لم يعد للدين سلطان عليه بعد تجربته القاسية مع رجال الكهنوت الفاسدين الذين دعموا الظلم وحاربوا العلم في العصور الوسطى؟

وبعيدا عن جدل النظريات، آثرت أن أقدم

---

[*] كاتبة مصرية.

نموذجا تطبيقيا عمليا لقضية يرى فيها علماء الدين أنها قضية دينية وخُلقية في المقام الأول، ويرى فيها رجال السياسة أنها أحد حقوق الإنسان ومظهر من مظاهر حريته، فلو أخذنا قضية الإجهاض كنموذج لاشتباك ما هو ديني وما هو دنيوي في الغرب لكان ذلك دليلا واضحا على الدور المؤثر الذي لم تزل تلعبه الكنيسة هناك، وكيف يؤثر ذلك على الحياة السياسية بصورة بالغة التعقيد وبعيدا عن أي محاولات للتسطيح أو الاختزال.

الدين في أمريكا

أمريكا القوة العظمى في العالم وهي قبلة العلمانيين العرب كما هو معلوم وهي من أكثر دول العالم التي يتداخل فيها ما هو ديني وما هو دنيوي، وما ظاهرة المحافظين الجدد الذين وضعوا العالم على حافة الحرب العالمية الثالثة إلا أحد تجليات هذا التداخل.

لقد كان الدين حاضرا وبقوة في الشأن السياسي (الانتخابات) الأمريكية سواء في دعم مرشح - كما حدث مع بوش الابن عندما تم دعمه من قبل الكنائس - أو في الهجوم وانتقاد لرئيس لا يخضع لرؤيتهم الخلقية - كما يحدث مع أوباما الذي هددته الكنائس بالدعوة لعصيان مدني ضده - فهل يقال بعد ذلك أنه لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين في واحدة من أعرق الديمقراطيات في العالم (أمريكا) كما يروج العلمانيون العرب حتى يتم استئصال الدين من ساحات الحياة في بلادنا.

الدين في أمريكا له ثقل كبير وذلك منذ استخدم الثوار في أمريكا اللغة الدينية في إثارة الحماسة في قلوب الأمريكيين ضد الحكم البريطاني ومنذ ذلك التاريخ احتل الدين أهميته الاستراتيجية في العقل الجمعي الأمريكي، ومن يقرأ مواد الدستور الأمريكي أو يتابع مراسم تنصيب رئيس الجمهورية هناك وما يقام فيها من صلوات سوف يلمس مدى تغلغل الدين في الحياة العامة.

لقد خاض بوش الابن حربا بشعة على العراق بتحريض من إدارة متدينة متطرفة كانت ترى في تدمير العراق ضماناً لأمن إسرائيل.. وإسرائيل في عقيدة هؤلاء هي ضرورة لعودة المسيح الثانية للأرض.. إنهم لا يستخفون بتلك التصريحات فبوش كان يفاخر بتدينه وبكونه يقرأ الكتاب المقدس (الإنجيل والتوراة) صبيحة كل يوم في البيت الأبيض.

ومنذ أيام حدثت تسريبات بالغة الخطورة عن تدريبات تجرى وخطط لإبادة المسلمين أو توجيه ضربة عسكرية للأماكن المقدسة في مكة والمدينة، هذه المخططات التي أدانها قسم من العقلاء من العسكريين وصانعي القرار ولكنها تكشف في الوقت ذاته عن عقلية الحروب الصليبية التي تمتزج فيها المشاعر الدينية والأطماع المالية والسيطرة الاستعمارية وأن الحروب الصليبية ليست لفظاً غير مقصود من رئيس مهووس حكم لفترتين وإنما هي جزء ثابت ومكون أساسي لدى فريق لا يستهان به من قادة الغرب وأمريكا.

والحوادث في هذا السياق أكثر من أن تحصى كما حدث من الجنود الأمريكيين الذين حرقوا المصحف في أفغانستان، ومن البلاهة الاعتقاد أن هذه حوادث فردية لا يجمعها رابط أو استراتيجية دينية متطرفة تقف وراءها.

الإجهاض نموذجا

إن قضية الإجهاض من الممكن أن تقرأ بأكثر من وجه فهي قد تقرأ كأحد مظاهر الحرب بعيدة المدى التي تشن على بلادنا ففي الوقت الذي دعمت فيه الولايات المتحدة الأمريكية خدمات تحديد النسل وتنظيم النسل في بلادنا حتى أن جزءا من المعونة الأمريكية في مصر لابد وأن توجه إلى هذا القطاع حتى أصبحت هذه الوسائل تقريبا بالمجان مع مجموعة من الحملات الدعائية المنظمة الممولة أيضا من أموال المعونة فإن هذه الخدمة داخل الولايات المتحدة ذاتها لا تلقى هذا الدعم فهم في أمس الحاجة لطاقة بشرية جديدة تمنحهم الحيوية

والاستمرارية بينما مطلوب أن نُحرم نحن من هذه الطاقة ونراها عبئا وسبباً لكل المشكلات التي نمر بها.

وقضية الإجهاض قد تقرأ في سياق صراع كنسي ديني وأخلاقي في مواجهة تيار تحرري ذي نزعة فردية يحمل غطاء سياسياً وهي قضية نموذجية توضح أن الدين طرف فاعل في الحياة وقوة لا يمكن تجاهلها وليس كما يشاع في بلدنا من أن الدين مجرد علاقة خاصة بين الإنسان وربّه..

كانت الولايات المتحدة لا تدعم خدمات الإجهاض في عهد الرئيس بوش ولكن أوباما أصدر مرسوما تنفيذيا تدعم فيه الولايات المتحدة بمقتضاه عيادات الإجهاض ضمن أموال المعونة الأمريكية التي تقدم لدول العالم الثالث، وهو ما أثار استياء رجال الكنيسة في الداخل الأمريكي والكنيسة الكاثوليكية في روما ومن ثم شنوا هجوما قاسيا على أوباما باعتباره يمارس مذابح للأبرياء.

فعقب انتخاب أوباما رئيسا للبلاد تزايدت الخلافات بين الحكومة الأمريكية والكنائس بسبب سياسات أوباما خاصة ما يتعلق بقضايا ثلاث أساسية وهي:

١- قضية الإجهاض.

٢- زواج الشواذ.

٣ـ الحق في الانتحار أو ما يطلق عليه الموت الرحيم، وهي القضايا التي تعهدت الكنائس الأمريكية المختلفة بالتصدي لها.. مما خلق حالة من الشد والجذب بين الكنائس من جهة وبين الإدارة الأمريكية الديمقراطية من جهة أخرى.

وقد وصل الأمر ببعض الكنائس بتهديد الرئيس باراك أوباما بالتحريض على عصيان مدني إذا لم يتراجع عن تأييده لبعض القوانين التي اعتبروها «ممارسات ضد الحياة» مثل تقنين الإجهاض وزواج الشواذ والموت بكرامة.

نستطيع القول إذن إن قضية حق المرأة في إجهاض جنينها تعد نموذجا واضحا لمدى تغلغل الفكر الكنسي في الحياة العامة في أمريكا ففكرة الحرية المطلقة التي تتشدق بها النخبة في بلادنا هي من قبيل الكلمات الجوفاء المفرغة من المعنى والتي تخالف ما يحدث على أرض الواقع وهو ما تتغابى عنه النخبة وتحرص في الوقت ذاته على أن يصدقها جمهور البسطاء الذين يرسم لهم ملامح عالم خيالي ليس للدين فيه أثر كبير.

موسوعة مصطلحات الشيعة (٢٣)

(حرف الميم) ٣

إعداد: هيثم الكسواني(*) -خاص بالراصد

المطهّرون

تسمية يطلقها الشيعة على أئمتهم الإثنى عشر، اقتباسا من قوله تعالى (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلاّ المطهرون) [الواقعة: ٧٧ - ٧٩]. وقد وردت هذه التسمية عند النوري الطبرسي في مقدمة كتابه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب».

يقول الشيخ الدكتور ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة»: «إن صاحب فصل الخطاب ينقل في هذه المقدمة أخبارا تقول إن عليّاً امتنع عن تسليم القرآن الذي جمعه للصحابة حينما طلبوا منه ذلك، واحتج بأنه لا يمسه إلاّ المطهرون، وأن المطهرين هم الأئمة الإثنا عشر».

المعصوم

يعتقد الشيعة بعصمة أئمتهم، واستحالة صدور الخطأ منهم أو المعصية، وجعلوا ذلك من مبادئ مذهبهم وضرورياته، وفي كتابه «الاعتقادات»، يقول ابن بابويه القمي، الملقب عند الشيعة بالصدوق (ت ٣٨١هـ): «اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة أنهم معصومون مطهّرون من كل

(*) باحث أردني.

دنس، وأنهم لا يذنبون ذنبا صغيرا ولا كبيرا، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر..».

ونصّ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) على أن الأئمة لا يقع منهم أيضا السهو ولا النسيان، فقال، كما في بحار الأنوار ومرآة العقول: «اعلم أن الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة – عليهم السلام- من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلاً، لا عمداً ولا نسياناً، ولا لخطأ في التأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه».

كما نصّ الشيعة على عصمة بعض أقارب الأئمة مثل فاطمة بنت موسى الكاظم، سابع الأئمة المعصومين عند الشيعة الإثنى عشرية، وأخت علي الرضا (الإمام الثامن) والملقبة عند الشيعة بفاطمة المعصومة، والسيّدة المعصومة.

المعصومون الأربعة عشر

عند الشيعة الإمامية هم: الأئمة الإثنا عشر (علي، الحسن، الحسين، زين العابدين، الباقر، الصادق، الكاظم، الرضا، الجواد، الهادي، العسكري، المهدي) إضافة إلى النبي ﷺ وابنته فاطمة رضي الله عنها.

المعممون

من الألقاب التي تطلق على رجال الدين الشيعة. وهناك ثلاثة أنواع من العمامات التي يرتديها رجال الدين عندهم:

السوداء: ويرتديها المنتسبون إلى آل البيت.

البيضاء: ويرتديها رجال الدين الذين ليسوا من آل البيت.

الخضراء: وهي خاصة بسادن المرقد والملقب بـ «الكليدار».

مغاوير الداخلية

إحدى الميليشيات الطائفية التي ظهرت في العراق بعد الاحتلال الأمريكي في سنة ٢٠٠٣م، وكانت تتبع لوزارة الداخلية، وخاصة في الفترة التي تولى فيها الوزارة، القيادي في المجلس الأعلى بيان باقر صولاغ (٢٠٠٥ – ٢٠٠٦م)، وقد قامت هذه القوات بعمليات قتل واغتيالات واعتقالات واسعة ضد السنة في العراق، لكنّ المسؤولين الشيعة في العراق ادّعوا أن الذين قاموا بهذه الأعمال هم عصابات إرهابية تتكر أفرادها في زي قوات وزارة الداخلية وليسوا تابعين لها.

المفتي الجعفري الممتاز

ثاني أهم منصب ديني لدى الشيعة في لبنان، بعد رئيس المجلس الشيعي الأعلى، (يحمل رئيس المجلس أحيانا مسمّى: نائب رئيس المجلس، على اعتبار أن موسى الصدر الذي اختفى في ليبيا سنة ١٩٧٨م، ما يزال رئيسا للمجلس).

والمفتي الجعفري الحالي في لبنان هو: أحمد قبلان، وقد تولى منصبه هذا في سنة ٢٠٠١م، خلفا لوالده عبد الأمير قبلان، الذي أصبح في ذلك الوقت رئيسا للمجلس الشيعي الأعلى.

المفوّضة

فرقة من غلاة الشيعة، وفي كتابه «الفرق بين الفرق» يقول الإمام عبد القاهر البغدادي في شأنهم:

«وأما المفوضة من الرافضة فقوم زعموا أن الله تعالى خلق محمدا، ثم فوض إليه خلق العالم وتدبيره، فهو الذى خلق العالم دون الله تعالى، ثم فوض محمدٌ تدبير العالم إلى علي بن أبى طالب فهو المدبر الثاني. وهذه الفرقة شر من المجوس الذين زعموا أن الإله خلق الشيطان، ثم إن الشيطان خلق الشرور، وشر من النصارى الذين سموا عيسى عليه السلام مدبرا ثانيا».

ويحمّل علماءُ الشيعة المفوضةَ مسؤولية إدخال بعض العقائد إلى مذهبهم، ومنهم ابن بابويه القمي، الملقّب عند الشيعة بالصدوق (توفي: ٣٨١هـ)، الذي يرى في كتابه (مَن لا يحضره الفقيه) أن قول الشيعة في الأذان (أشهد أن عليّا ولي الله) هو من وضْع المفوضة. كما يرى الباحث الشيعي المعاصر أحمد الكاتب في كتابه «تطور

الفكـر السياسي الشيعي» أن المفوضة هم الذين (اضطروا) لافتراض وجود ولد في السر للإمام الحادي عشر عند الشيعة الإثنى عشرية (الحسن العسكري) لكي تستمر نظرية (الواحد الكامل) الذي يدبر الكون ويخلق ويرزق.

ويورد الكاتب في هذا الصدد رواية منسوبة إلى أبي عبد الله، أي جعفر الصادق، سادس الأئمة المعصومين عند الشيعة الإثنى عشرية، توحي بمشاركة الأئمة وخاصة المهدي المنتظر، الملقب بصاحب الزمان، مع الله في إدارة الكون، وفيها: «إن الله إذا أراد أمراً عرضه على رسول الله ثم أمير المؤمنين ثم الأئمة واحدا بعد واحد.. إلى أن ينتهي إلى صاحب الزمان، ثم يخرج إلى الدنيا. وإذا أراد الملائكة أن يرفعوا إلى الله عزوجل عملا عرض على صاحب الزمان ثم يخرج على واحد واحد من الأئمة إلى أن يعرض على رسول الله ثم يعرض على الله، فما نزل من الله فعلى أيديهم، وما عرج إلى الله فعلى أيديهم، وما استغنوا عن الله عزوجل طرفة عين».

ويقول الكاتب إن بقية الشيعة لم يكونوا _ آنذاك _ يوافقون المفوضة على أفكارهم المغالية، وحدث مرةً نزاعٌ بين الطرفين حول تفويض الله للأئمة لإدارة الكون، فقاموا بالاحتكام إلى محمد بن عثمان العمري (توفي: ٣٠٥هـ)، وهو ثاني سفراء المهدي المنتظر، وطلبوا منه أن يحسم النزاع، فأخرج لهم (توقيعا) منسوبا للمهدي يتضمن رفض نظرية (التفويض الكامل) ويؤكد تدخل الأئمة في السؤال من الله أن يخلق فيخلق، أو يرزق فيرزق.

ويلفت الشيخ الدكتور ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة» إلى أن ما كان يعدّه الشيعة القدماء غلوا وأفكارا دخيلة من مخلفات المفوضة وغيرهم من الغلاة، أصبح لدى الشيعة المعاصرين من المسلّمات ومن ضروريات مذهبهم، ويضرب لذلك مثلا بالخميني، مؤسس الجمهورية الإيرانية، الذي جمع في فكره الوثنية، والاتجاه الصوفي المغالي، والغلو في التشيع والرفض، وغير ذلك من الانحرافات، ويقول د. القفاري: «وإذا كان شيخهم ابن بابويه القمي في القرن الرابع يرى أن قول الشيعة في الأذان (أشهد أن عليّا ولي الله هو من وضْع المفوضة لعنهم الله تعالى) عرفتَ انفصال المعاصرين عن الغابرين، وأن المعاصرين قد انمحت الفوارق بينهم وبين الغلاة، ولم يعد لديهم حدود يتوقفون عندها في السير بمذهبهم قدما نحو الغلو والزندقة».

المفيد

لقب يطلقه الشيعة على شيخهم محمد بن محمد بن نعمان، المعروف أيضا برئيس الملة، وابن المعلم، والمولود في سنة ٣٣٦هـ، والمتوفى سنة ٤١٣هـ.

يقول نور الدين الشاهرودي، في كتابه «المرجعية الدينية ومراجع الإمامية»: «وكان عصر الشيخ المفيد فترة انكماش الدولة العباسية وضعفها ووهنها، أيام سيطرة أمراء الأقاليم على حكم أقاليمهم، وتولي بني بويه السلطة في بغداد، وبسبب تشيع بني بويه حظي هذا الشيخ بما لم يحظَ به غيره من آيات الإعزاز والتقدير، فكانت له صولة عظيمة بسبب عضد الدولة البويهي، كما كانت له وجاهة عند الأقاليم والبلدان لميل كثير من أهل ذلك الزمان إلى التشيع، وقد بلغ من احترام عضد الدولة أنه كان يزوره في داره، ويعوده إذا مرض».

المقاومة الإسلامية

اللقب الذي يطلقه الشيعة على حزب الله اللبناني، وجناحه العسكري على وجه الخصوص.

مقبولة ابن حنظلة

وتسمى أيضا: «صحيحة ابن حنظلة» وهي أهم رواية شيعية تبين كيفية الترجيح عند تعارض الأحكام، وينسبها الشيعة إلى أبي عبد الله، أي جعفر الصادق، سادس أئمتهم المعصومين، وهذه الرواية يرويها الكليني في كتابه «أصول الكافي» عن عمر بن حنظلة قال: «سألتُ أبا عبدالله عن

رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان، وإلى القضاة، أيحلُّ ذلك؟

قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً، وإن كان حقاً ثابتاً له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠] قلت: فكيف يصنعان؟

قال: ينظران إلى ما كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا رد، والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله.

قلت: فإن كان كل رجل اختار رجلاً من أصحابنا، فرضيا أن يكونا الناظرين في حقهما، واختلفا فيما حكما، وكلاهما: اختلفا في حديثكم؟

قال: الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما ولا يلتفت إلى ما يحكم به الآخر.

قال- قلت فإنهما عدلان مرضيان عند أصحابنا، لا يفضل واحد منهما على الآخر؟

قال: ينظر إلى ما كان من روايتهم عنا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه من أصحابك فيأخذ به من حكمنا. ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك. قلت: فإن كان الخبران عنكما (يقصد الصادق وأباه الباقر) مشهورين قد رواهما الثقات عنكم؟

قال: ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة، وخالف العامة فيؤخذ به ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة.

قلت: جُعلت فداك أرأيت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة، ووجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامة والآخر مخالفاً لهم بأي الخبرين يؤخذ؟

قال: ما خالف العامة ففيه الرشاد.

فقلت: جعلت فداك، فإن وافقهما الخبران جميعاً؟

قال: ينظر إلى ما هم إليه أميل، حكامهم وقضاتهم، فيترك، ويؤخذ بالآخر.

قلت: فإن وافق حكامهم الخبران جميعاً؟ قال: إذا كان ذلك فأرجِه حتى تلقى إمامك، فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات».

ويبين الشيخ الدكتور علي السالوس في كتابه «مع الإثنى عشرية في الأصول والفروع» أن هذه الرواية التي يسميها الشيعة (مقبولة ابن حنظلة) هي العمدة عندهم في باب الترجيح بصفة عامة، والدليل الوحيد على مخالفة العامة – أي جمهور المسلمين – بصفة خاصة، ويعدد الشيخ السالوس أسبابا عديدة تجعل أهل السنة يرفوضون هذه الرواية، وهي:

١- أنها اعتبرت كل حاكم أو قاض غير جعفري إثنى عشري طاغوتاً أمرنا أن نكفر به بنصّ القرآن الكريم.

٢- أنها اعتبرت أخذ الحق الثابت سحتاً ما دام أخذه عن طريق هؤلاء الحكام والقضاة.

٣- أنها جعلت حكم الحكَم الجعفري الرافضي كحكم الله تعالى، ومن لم يقبله فكأنما أشرك بالله سبحانه.

٤- أنها تدعو إلى مخالفة جمهور المسلمين حتى عند ظهور موافقتهم للكتاب والسنة.

ويقول الشيخ السالوس في تفنيد هذه الرواية: «فالإمام الصادق أعمق إيماناً، وأرفع شأناً من أن يصدر منه هذه الجهالة، وإنما تصدر هذه الرواية عن غالٍ، يفتري على الأئمة، يريد لأمة الإسلام أن تفترق ولا تتحد».

الملالي

من الألقاب التي تطلق على رجال الدين الشيعة، وخاصة من الإيرانيين، الذين يسيطرون على الحكم في إيران منذ سنة ١٩٧٩م، وكثيرا ما ترِد

في وسائل الإعلام عبارات من قبيل: نظام الملالي، لوصف النظام الحالي في إيران، وحكم الملالي، ودولة الملالي، وغير ذلك.

المنار (تلفزيون)

قناة أرضية وفضائية تابعة لحزب الله الشيعي اللبناني، وتعد أبرز مؤسسات الحزب الإعلامية ومنابره، وقد انطلق البث الأرضي للمنار في سنة ١٩٩١م من مدينة الهرمل، وبحسب أسامة شحادة وهيثم الكسواني في كتابهما «التجمعات الشيعية في بلاد الشام» فإن الرئيس الإيراني الأسبق هاشمي رفسنجاني تدخل لدى الرئيس السوري السابق حافظ الأسد، للطلب من الحكومة اللبنانية منح حزب الله الحق في إنشاء قناة فضائية. وفعلا انطلق البث الفضائي سنة ٢٠٠٠م، ويقع مقر القناة في الضاحية الجنوبية للعاصمة اللبنانية بيروت.

المنبر (مجلة)

مجلة شهرية تصدر عن هيئة خدام المهدي التي تتبع للتيار الشيرازي، وتعتبر المجلة من أهم إصدارات الهيئة. ومنذ نشأتها تبنت المجلة التطاول على العقائد الإسلامية، والصحابة وأمهات المؤمنين، ومذهب أهل السنة.

المهدي

الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإمامية، ومن أسمائه أيضا: القائم والخلف والحجة والسيد والناحية المقدسة والصاحب وصاحب الزمان وصاحب العصر والمنتظر.

ويعتقد الشيعة أن المهدي ولد سنة ٢٥٥ أو ٢٥٦هـ، وأنه اختفى في سرداب في مدينة سامراء بالعراق في سنة ٢٦٠هـ، وأنه سيعود في آخر الزمان، مخالفين بذلك الحقائق التاريخية التي تؤكد أن الحسن العسكري، الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإثنى عشرية، توفي دون أن يكون له ولد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة»: «.. قد ذكر محمد بن جرير الطبري وعبد الباقي بن قانع وغيرهما من أهل العلم بالأنساب والتواريخ أن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب، والإمامية الذين يزعمون أنه كان له ولد يدّعون أنه دخل السرداب بسامرّا وهو صغير، منهم من قال عمره سنتان، ومنهم من قال: ثلاث، ومنهم من قال: خمس سنين، وهذا لو كان موجودا معلوما، لكان الواجب في حكم الله الثابت بنص القرآن والسنة والإجماع أن يكون محضونا عند من يحضنه في بدنه، كأمه وأم أمه، ونحوهما من أهل الحضانة، وأن يكون ماله عند من يحفظه.. فكيف يكون من يستحق الحجر عليه في بدنه وماله إماما لجميع المسلمين معصوما، لا يكون أحد مؤمنا إلاّ بالإيمان به»؟!

مهر فاطمة

يعتقد الشيعة أن مهر فاطمة بنت النبي ﷺ عبارة عن خمسة أقسام، وأن الجنة هي جزء من مهرها رضي الله عنها بزواجها من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذه الأقسام هي:

١- الأرض:

وقد زعموا أنه قيل للنبي ﷺ (كما في بحار الأنوار للمجلسي): قد علمنا مهر فاطمة في الأرض، فما مهرها في السماء؟ قال: سل عما يعنيك ودع ما لا يعنيك، قيل: هذا مما يعنينا يا رسول الله، قال: كان مهرها في السماء خُمس الأرض، فمن مشى عليها مبغضاً لها ولولدها مشى عليها حراماً إلى أن تقوم الساعة.

٢- الجنة والنار:

فقد نسبوا لجعفر الصادق أنه قال (كما في بحار الأنوار أيضا): «إن الله تعالى مهر فاطمة ربع الدنيا، فربعها لها، ومهرها الجنة والنار فتدخل أولياءها الجنة وأعداءها النار».

٣- طوبى:

وقد جاء في معالم الزلفى لهاشم البحراني أن رسول الله ﷺ قال: «ولقد نحل الله طوبى في مهر

فاطمة، فهي في دار علي عليه السلام».

٤- الشفاعة:

وقد ورد في كتاب (إحقاق الحق) عن فاطمة: أنها لما سمعت بأن أباها زوّجها وجعل الدراهم مهراً لها، فقالت: يا رسول الله إن بنات الناس يتزوجن بالدراهم فما الفرق بيني وبينهن؟ أسألك تردها وتدعو الله تعالى أن يجعل مهري الشفاعة في عصاة أمتك، فنزل جبرائيل عليه السلام ومعه بطاقة من حرير مكتوب فيها: (جعل الله مهر فاطمة الزهراء شفاعة المذنبين من أمة أبيها). فلما احتضرت أوصت بأن توضع تلك البطاقة على صدرها تحت الكفن، فوضعت، وقالت: إذا حشرت يوم القيامة رفعت تلك البطاقة بيدي وشفعت في عصاة أمة أبي.

٥- المهر المادي:

وهو عبارة عن درع زوجها علي، أي خمسمائة درهم.

المواكب الحسينية

مسيرات يقيمها الشيعة في ذكرى عاشوراء ومقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، ويتم فيها ضرب الظهور واللطم وجرح الرؤوس بالطبر (وهي آلة حادة مثل السكين، لكنها أكبر) وتستخدم فيها أصوات الطبول والبوق مع قصائد حزينة.

ويبين عبد العزيز بن صالح المحمود في دراسته «جهود علماء العراق في الردّ على الشيعة» أن هذه الطقوس أحدثتها الدولة الصفوية واستخدمتها في العراق والهند لنشر التشيع، وكان يقوم بها الفرس والهنود والأذريون القادمون للزيارة وإحياء ذكرى مقتل الحسين، ولم يكن العرب الشيعة في بداية الأمر يقومون بهذه الأفعال، وإنما يكتفون بمشاهدتها، ومع مرور الزمن أصبح أهالي الجنوب والوسط من العشائر العربية هم من يقوم بذلك.

الموامنة

اللفظ العراقي لكلمة المؤمنين، وتطلق في العراق على رجال الدين الشيعة المتجولين الذين يجوبون المدن والقرى لنشر التشيع، وهم ليسوا من أهل البيت، بخلاف طبقة السادة الذين ينتسبون أو يدّعون الانتساب إلى أهل البيت.

مولانا

من التسميات التي يطلقها الشيعة على أئمتهم المعصومين، ويخاطبون بها مراجعهم وشيوخهم الكبار. وقد جاء في كتاب «الغيبة» لأبي جعفر الطوسي على سبيل المثال رواية على لسان حكيمة بنت محمد تقول: «لمّا كان بعد أربعين يوماً (أي من الولادة المزعومة للمهدي) دخلتُ على أبي محمد عليه السلام (أي الحسن العسكري الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإثنى عشرية) فإذا **مولانا** الصاحب (أي المهدي المنتظر) يمشي في الدار، فلم أرَ وجهاً أحسن من وجهه، ولا لغة أفصح من لغته، ..».

حزب التحرير.. المنقضون على ثورات العرب

معتز بالله محمد(*) -خاص بالراصد

ليس كل ما يلمع ذهباً، مثلٌ عربي ينطبق تماماً على حزب التحرير، الفلسطيني النشأة، بما يحمله من شعارات براقة وعبارات رنانة يحسبها الظمآن ماء، الحزب الذي أخذ منهجه في معظم أبواب العقيدة من المعتزلة والأشاعرة والجهمية والخوارج والشيعة، والذي صُنف المنتمون إليه من قبل علماء أهل السنة والجماعة على أنهم أهل بدعة وضلالة وغواية، خرج بعد الثورات العربية من تحت الأرض حيث العمل السري، محاولا الولوج إلى عالم السياسة، بل أيضا محاولا ركوب الثورات والقول إنه أحق الجماعات الإسلامية بالحكم وإعادة الخلافة!!

التعريف:

حزب التحرير حزب سياسي إسلامي، بمعنى أنه يدعو إلى تبني مفاهيم الإسلام وأنظمته وتثقيف الناس به والسعي جدياً لإقامة الخلافة الإسلامية

(*) كاتب مصري.

الـــتي تعتـــبر محـــوره الأهـــم، فتحْـــت مظلتهـــا يتوحـــد المـسلمون. ويـــرى هـــذا التكتـــل أنـــه لا يمكـــن تغـــيير المجتمـــع إلا مـــن خـــلال مهاجمـــة فكـــر المجتمـــع حتـــى يحـــدث الانقـــلاب الفكـــري ثـــم الـــسياسي. ويتخـــذ مـــن العمـــل الـــسياسي والفكـــري منهجـــا لعملـــه، ويتجنـــب مـــا يـــسميه بـــ«الأعمـــال الماديـــة» مثـــل الأعمـــال المـــسلحة لتحقيق غايته.

لكـــن هـــذا الحـــزب كـــان لـــه الكـــثير مـــن الـــسقطات الـــتي جعلتـــه مـــن أكـــبر المخـــالفين لأهـــل الـــسنة والجماعـــة، فمـــن مبادئـــه تقـــديم العقـــل علـــى النـــصوص الـــشرعية، فكـــان أن أنكـــر عـــذاب القـــبر وظهـــور المـــسيح الـــدجال، كمـــا أبطـــل الأمـــر بـــالمعروف والنهي عن المنكر.

وقـــد جـــاء في التعريـــف بـــالحزب في آخـــر صـــفحة مـــن كتـــاب «المفـــاهيم» مـــا نـــصّه: «حـــزب التحريـــر حـــزب سياســـي مبـــدؤه الإســـلام». وجـــاء فيـــه أيـــضاً: «يجـــب أن تكـــون الكتلـــة الـــتي تحمـــل الـــدعوة الإســـلامية كتلـــة سياســـــية، ولا يجـــــوز أن تكـــــون كتلـــــة روحيـــــة، ولا كتلـــــة أخلاقيـــــة، ولا كتلـــــة علميـــــة، ولا كتلـــــة تعليميـــة، ولا شـــيئاً مـــن ذلـــك ولا مـــا يـــشبهه، بـــل يجـــب أن تكـــون كتلـــة سياســـية»، ولـــذلك غلـــب علـــى أفـــراد الحزب قلة التدين!!

وجـــــاء في كتـــــاب «التكتـــــل الحزبـــــي» حـــــزب التحريـــر وهـــو حـــزب إســـلامي مـــن حيـــث مبدئـــه، لـــيس حزبـــاً إســـلامياً كـــالتكتّلات الإســـلامية، فهـــو لا يعلّـــم النـــاس الإســـلام ولا يـــدعو المـــسلمين للإســـلام، ولا يعِـــظ النـــاس بالإســـــلام، فالإســـــلام مبـــــدؤه ولـــــيس عملـــــه، والإســـلام أساســـه ولـــيس صـــفته، فهـــو يتـــولّى الـــسلطة حـــين يتـــاح لـــه أن يتولاّهـــا ليرعـــى شـــؤون النـــاس فعـــلاً، ويحاســـب الـــسلطة في جميـــع الأحيـــان ســـواء أكـــان في الحكـــم أو خـــارج الحكـــم، فعملـــه كلّـــه محـــصورٌ بالـــسياسة، إمّـــا عمليّـــاً بمباشـــرتها وإمّـــا نظريًّـــا بمحاســـبة الحكّـــام علـــى أســـاس الإســـلام»، وهـــذا هـــو عـــين الـــسلوك الماركـــسي حـــين دخلـــت الأحـــزاب الماركـــسية للـــساحة الإســـلامية عـــبر اليهـــود والأقليـــات الأجنبية فقد ركزوا على الساحة السياسية فقط.

النشأة والتطور:

تأســـس حـــزب التحريـــر في القـــدس مطلـــع عـــام ١٩٥٣، علـــى يـــد القاضـــي الفلـــسطيني تقـــي الـــدين النبهـــاني، الـــذي كـــان متـــأثرا بحـــال العـــالم الإســـلامي إثـــر ســـقوط الخلافـــة الإســـلامية العثمانيـــة في إســـطنبول عام ١٩٢٤.

وكانـــت للمؤســـس أفكـــار قوميـــة إذ أصـــدر ســـنة ١٩٥٠م كتابـــاً بعنـــوان «رســـالة العـــرب» وانعكـــس هـــذا علـــى ترتيـــب أولويـــات إقامـــة الدولـــة الإســـلامية في البلـــدان العربيـــة أولاً ثـــم الإســـلامية، كمـــا كـــان لـــه علاقـــات وثيقـــة بقـــادة حـــزب البعـــث في الأردن مثـــل عبدالله الريماوي.

البنيـــة الهيكليـــة للحـــزب بحـــسب تـــنظيرات النبهـــاني تقـــوم علـــى القيـــادة الـــسياسية الـــتي يطلـــق عليهـــا «الإمـــارة» الـــتي يتولاهـــا «أمـــير الحـــزب» فيمـــا يُنتخـــب الأخـــير مـــن قبـــل الجماعـــة، وتكـــون مـــدة إمارتـــه غـــير محـــدودة، الأمـــر الـــذي جعـــل مـــن النبهـــاني نفـــسه الأمـــير الأوحد منذ تأسيسه للحزب حتى وفاته عام ١٩٧٧!!

حزب التحرير والخميني:

بعـــد انـــدلاع ثـــورة الخمـــيني في إيـــران عـــام ١٩٧٩ ســـافر وفـــد مـــن حـــزب التحريـــر إليـــه عارضـــا عليـــه تـــولي الخلافـــة، ليكـــون الخمـــيني خليفـــة المـــسلمين وقـــد ذكـــر هـــذا في مجلـــة (الخلافـــة) التحريريـــة في العـــدد ١٨ تـــاريخ ١٩٨٩/٨/٤م، وقـــد وعـــدهم الخمـــيني خـــيرا، إلا أنـــه تجاهلـــهم بعـــد ذلـــك ولم يرســـل لهـــم أي رد ممـــا اضـــطر الحـــزب إلى إرســـال رســـالة أخـــرى يعاتبـــه فيهـــا علـــى هـــذا التجاهـــل عنوانهـــا (نقـــد الدســـتور الإيراني).

كمـــا امتـــدحت مجلـــة (الـــوعي) التحريريـــة كتـــاب الخمـــيني (الحكومـــة الإســـلاميّة) المملـــوء بالكفريـــات والـــذي صـــرح فيـــه بـــأن الأئمـــة أفـــضل مـــن الملائكـــة المقـــربين والأنبيـــاء المرســـلين، وذلـــك في عـــدد رقـــم ٢٦ ســـنة ١٩٨٩م حيـــث قالـــت: (أهـــم عمـــل سياســـي قـــام بـــه

الإمـام الخمـيني هــو تأليفــه كتــاب (الحكومــة الإسلامية).

قـد يكـون حـزب التحريـر خُـدع في بـادئ الأمـر بـالثورة الإيرانيـة، لكـن رغـم سـلوكيات طهـران بعـدها منـذ الحـرب العراقيـة وحتـى الغـزو الأمريكـي للعـراق عـام ٢٠٠٣ ومـا بعـدها مـن جـرائم إيرانيـة بحـق أمتنـا، كـان يفـترض بحـزب التحريـر الـذي يـصنف نفـسه كحـزب إسـلامي أن يقطـع علاقاتـه الـسابقة بطهـران ويعلـن عـن ندمـه لمواقفـه الـسابقة منهـا، لكـن أيـاً مـن ذلـك لم يحـدث، بـل في تـاريخ ٣٠ أغـسطس ٢٠١١ أرســل مكتــب الحــزب في لبنــان أو «ولايــة لبنـان» كمـا يـصفونها رسـالة إلى مـن أسمـوه «سـعادة سـفير الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة» بمناسـبة زيـارة قام بها الأخير لمسئولي الحزب في لبنان.

صـحيح أن الرسـالة جـاءت معاتبـة إيـران علـى سـلوكها الـشائن في أفغانـستان والعـراق وأخـيرا في سـورية لكنـه عتـاب حـانٍ، لا يرقـى إلى مـستوى الممارسـات الإجراميـة الإيرانيـة، هـذا علـى افـتراض أن إرسالها خطوة سليمة في الأساس!

وتعـرض تلـك الرسـالة عـدة نـصائح علـى إيـران للعـودة إلى نمـوذج الدولـة الإسـلامية المفترضـة ومجـددا يعـود حـزب التحريـر مغـازلا إيـران ومعربـا عـن رغبتـه في التواصـل معهـا دائمـا وهـو مـا يعـبر عنـه الجـزء الأخير مـن الرسـالة والـذي جـاء فيـه: «فـإن كـان لـدى الإخـوة في إيـران النيّـة الـصادقة لبحـث هـذه الأمـور بـصدق وشـفافية فحـيهلا، وسـيجدون أنّ قلوبنـا وعقولنـا مرحّبـة بالنقـاش الجـادّ الهـادف إلى نـصرة هـذا الـدين وإعـلاء كلمـة اللّه. أمّـا التوقّـف عنـد المعالجـات الـسطحية والمجـاملات الـشكليّة مـع البعـد عـن الـسياسة الإسـلامية الـصافية، فلـن يزيـد النظـام الإيرانـي إلا بُعـدًا عنّـا وعـن سـائر الأمّـة. { وَاللَّـهُ غَالِـبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} ».

ممـا يؤكـد أن حـزب التحريـر لـلآن لا يـزال لا يفهـم حقيقـة المعتقـد الـشيعي الـذي يحـرك النظـام الإيرانـي والـذي لا يـؤمن بفكـرة الخلافـة الـسنية أصـلاً لأنـه يـسعى لإقامـة الإمامـة الـشيعية!! فـضلاً عـن أنـه يؤكـد الجهـل الـسياسي لحـزب التحريـر الـذي لم يـستوعب بعـد أكثـر مـن ٣٠ سـنة علـى قيـام هـذه الجمهوريــة الــشيعية حقيقــة سياســاتها الطائفيــة الشيعية!!

وبالمناسـبة فـإن الحـزب لا يمنـع الـشيعة أو غيرهـم مـن أبنـاء الفـرق والجماعـات الـضالة مـن الانـضمام لـصفوفه وإن كـانوا يـسبون الـصحابة ويلعنـون أبـا بكـر وعمـر وعثمـان ومعاويـة رضـي اللّه عـنهم جميعـا، ويرمـون أمهـات المـؤمنين بالباطـل! بـل لا يمـانعون في أن يكـون خليفـتهم المنتظـر «شـيعيا» أو ربمـا كـافرا وهـو مـا سـنعرج إليـه في جـزء لاحـق مـن بحثنا هذا.

التحرير وثورات العرب:

بـدأ نـشاط الحـزب بعـد انـدلاع الثـورات العربيـة يأخـذ منحـى تـصاعدياً إذ اعتقـد قادتـه أن سـاعة الـصفر قـد اقتربـت وأن إقامـة الخلافـة باتـت قـاب قوسـين أو أدنـى، لـذلك أخـذ يـسوق لنفـسه بـشكل لافـت، ورغـم اعتبـاره الديمقراطيـة بدعـة وكافـة المؤسـسات المنبثقـة مـن مبادئهـا شـركية فقـد سـارع في تنـاقض واضـح إلى محاولـة خـوض غمـار الـسياسة، **إلا أنـه ظـل غـير مقنـع في طرحـه لـدى كـثير مـن الـشباب العربـي وخاصـة الإسـلامي كونـه يـسوق لإقامـة خلافـة إسـلامية علـى منهـاج النبـوة، فيمـا تتعـارض معظـم أفكـاره مـع مـا يـدعو إليـه اللّه ورسـوله – لا سـيما الخاصـة بالإيمـان والجهـاد - وتعطيلـه كافـة شئون الدين لربطها بمجيئ الخليفة.**

في تونس

كانـت تـونس هـي مهـد ثـورات العـرب وموطنهـا الأول فبتـاريخ ١٤ ينـاير ٢٠١١، انـدلعت احتجاجـات شـعبية ضـد النظـام القمعـي هنـاك وانتهـت بفـرار الـرئيس زيـن العابـدين بـن علـي إلى خـارج الـبلاد، لتنتهـي بـذلك حقبـة سـوداء مـن تـاريخ تـونس تعـرّض فيهـا الإسـلاميون لأبـشع ألـوان التنكيـل وقـام النظـام بفرض قيم الغرب العلمانية على التونسيين عنوة.

ومـع انـدلاع الثـورة بـدأ حـزب التحريـر في الظهـور

علانيــة للمــرة الاولى، وقــد كــشفت قيــادة هــذا الحـزب عـن برنامجهـا قبـل إجـراء الانتخابـات التونسية يـوم ٢٣ أكتـوبر ٢٠١١، إذ نـوّه النـاطق الرسمـي باسـم حــزب التحريـــر رضـــا بلحـــاج إلى أن التوجهـــات الـسياسية لحزبـه تقـوم علـى مبـدأ «الـسلطان للأمـة» الـتي لهـا حريـة اختيـار حاكمهـا وأن نظـام «الخلافـة هــو النظــام الأنــسب للــبلاد وأن الــشرع هــو أفــضل دســتور للأمــة»، لافتــا إلى أن مــشاركة الحــزب في الانتخابـات التـشريعية سـتكون بهـدف «إبـداء الـرأي والمحاسبة»، حسب تعبيره.

وكعــادة الحــزب في التــبرؤ في كــل مناســبة مــن التيــارات الإســلامية المختلفـة وتزكيـة نفـسه علـى ســائر تلــك الحركــات أشــار بلحــاج إلى وجــود اختلافــات بــين حزبــه وبقيــة التيــارات الإســلامية التونـسية، وقـال إن توجهـات حـزب التحريـر ورؤيتـه للمرحلـة الـسياسية الراهنـة «تقـوم علـى أفكـار خاصـة لا علاقــة لهــا بأفكــار بقيــة الأحــزاب الإســلامية الأخــرى الناشــطة في تــونس» مُنوهــاً إلى أن «الحلــول المقترحــة لمــساعدة الأمــة علــى الخــروج مــن وضــعها المـتردي تـبني علـى الـشرع الإسـلامي»، وفـق تعـبيره. كمـا يـذهب بلحـاج إلى عـدم وجـود دولـة عربيـة مـسلمة تتبنـى الـصيغة الإسـلامية في الحكـم، وقـال إن كـل الأنظمــة خارجــة عــن الــصيغة الإســلامية ولا تطبــق الإسـلام، ومرجعياتهـا تغريبيـة تقـوم علـى فـصل الـدين عن الحياة.

وسـرعان مـا أعـد الحـزب في تـونس مـشروع دسـتور «بــديل للــبلاد» مؤلــف مــن ٢٠٠ مــادة وقــام أنــصاره بتوزيعــه علــى التونــسيين في مختلــف أنحــاء الــبلاد مؤكــدا علـى أن «الديمقراطيـة قـضية مفتعلـة لا يجـوز الانــشغال بهــا»، وحــاول الحــزب مــن خــلال مــشروع دسـتور «دولـة الخلافـة» توضـيح عـدة مفـاهيم أهمهـا أن أحكـام الإسـلام مناسـبة لهـذا العـصر وأن الاسـلام فيــه مــا يكفــي لإقامــة دولــة موحــدة، تــوفر الرعايــة وتضمن الرفاه.

يــذكر أن الأدبيــات الأولى لحــزب التحريــر الــذي رفـضت الـسلطات التونـسية مـؤخرا منحـه ترخيـصا قانونيــا قــد وصــلت إلى المغــرب العربــي في أوائــل الثمانينــات، مــن خــلال بعـض الطلبـة الدارســين في جامعـات ومعاهـد أوروبـا فـضلا عـن بعـض المغاربـة الـذين ذهبـوا إلى أفغانـستان وباكـستان. وتعـد تـونس مـن أوائـل بلـدان المغـرب العربـي الـتي وصـل إليهـا حـزب التحريـر وبـدأ نـشاطه فيهـا وقـد اتهـم عـدة مـرات بــالتخطيط لقلــب نظــام الحكــم، وحُكــم علــى عناصره بالسجن فترات متفاوتة.

في مصر

كمــا في تــونس قــرر حــزب التحريــر الخــروج مــن تحــت الأرض ومواكبــة التطــورات مــن حولــه في محاولــة لــشغل موقــع علــى الخريطــة الــسياسية الجديـدة بعـد سـنوات مـن الحظـر، وهـو مـا يوضـحه مــصطفى زهــران الباحــث في شــؤون الحركــات الإســلامية والطــرق الــصوفية في حــديث لــصحيفة «أنبــاء موســـكو» بتــاريخ ٢٠١١/٨/١٩ بقولـــه إن الحــزب قــام بنـشاط واسـع في الـشهور الأخـيرة عـبر نـشر رسـائل وتوزيـع منـشورات وإجـراء لقـاءات مـع شـيخ الأزهـر كـان أولهـا الاحتجـاج علـى وثيقـة الدولـة المدنيـة، معتـبرا زيـارة وفـد الحـزب إلى الأزهـر نقلـة نوعيـة فيمـا تـبين أن وفـدا مـن الحـزب قـام بزيـارة الـسفارة الباكـستانية في مـصر اعتراضـا علـى اعتقـال عــدد مــن الأشــخاص في باكــستان علــى خلفيــة انتمائهم للحزب.

وتـابع زهـران أن الحـزب لا يـزال غامـضا، ولكنـه يحـاول كـسر الحـاجز بينـه وبـين المجتمـع المـصري مـا بعـد الثـورة. وهـو مـا دفـع الحـزب لتقـديم طلـب للاعـتراف بـه كحـزب سياسـي حتـى يـتمكن مـن دخـول الحيـاة الـسياسية إلى جانـب الحركـات والتيارت الإسلامية الأخرى الموجودة على الساحة.

غـير أن الحـزب بـدا فاشـلا في إقنـاع المـصريين بأفكـاره، في ظـل افتقـاده لأجنـدة محـددة أو عمـل سياسـي واضـح وهـو مـا ظهـر في برنـامج الحقيقـة الـذي يقدمـه الإعلامـي وائـل الإبراشـي علـى قنـاة «دريـم»

حيث استضاف محمد عبد القوي وكيل مؤسسي حزب التحرير الإسلامي، والذي أكد من جانبه أن مصر أصبحت مستعدة لأن تكون أرضا للخلافة الإسلامية. وأضاف أنه لا يجوز للمسلمين أن يحكمهم إلا حاكم يحكم بما أنزل الله، وأكد عبد القوي أن الحزب يسعى لإقناع عوام الناس، وجنود وقادة الجيش بفكرة الحزب، قائلاً: إن الأفكار السياسية الموجودة فى مصر هى من صنع الكفار منذ اتفاقية سايكس - بيكو فى عام ١٩١٦. واستطرد وكيل مؤسسي الحزب، أن موضوع الخلافة شأن إسلامي لجميع المسلمين فى العالم، وأن الحزب لا يخاطب معنى وطنيا أو قوميا.

وعلى الجانب الآخر، قال عبد الرحيم علي، مدير المركز العربي للبحوث والدراسات، أن حزب التحرير الإسلامي في مصر، هو حزب يدعو للانقلاب على السلطة من خلال الوقيعة داخل الجيش، مشيرا إلى أنهم فى عام ٨٧ حاولوا الانقلاب على الجيش بدعوى إقامة الخلافة الإسلامية في مصر إلا أنها فشلت وألقي القبض عليهم. ويتابع عبد الرحيم واصفا التحرير الإسلامي بأنه حزب على هامش «كومبارس» الحركات الإسلامية، ولا يعتبر أساسياً في العالم العربي، موضحا أن السلفيين المصريين يتصدون لهذا الحزب لخروجه في طروحاته عن صحيح الدين.

وكان محمد عبد القوي وكيل مؤسسي حزب التحرير الإسلامي، قد دعا شباب الحزب «ولاية مصر» إلى العمل الدؤوب، مؤكدا أن نجاح الثورة المصرية هو رصيد يضاف لحزب التحرير إذ أن عناصر الحزب في «كافة الولايات» ينتظرون بلهف دور شباب الحزب في مصر بعد سقوط «الطاغية مبارك».

سلفيو مصر والحزب:

كما أسلفنا فإن التيارات الإسلامية السلفية في مصر تعارض بشدة وجود مثل هذا الحزب، وتقاوم أفكاره بشتى الطرق، إلى درجة أنها قد تضطر أحيانا إلى مواجهته جسديا، مواجهة تنتهي بـ «علقة ساخنة» لأعضاء الحزب كما حدث في ميدان التحرير أكثر من مرة كان آخرها يوم ٢٠١٢/٤/٢٥ عندما لاحظ أنصار الشيخ حازم صلاح أبو اسماعيل – المرشح الرئاسي المستبعد من لجنة الانتخابات- تحركات مريبة لشخصين يندسان بين صفوفهم ويقومان بتوزيع منشورات غريبة.

وفى أول رد فعل رسمى من حزب التحرير «ولاية مصر» فقد أنكر تماما سعيه للترويج للمبادىء الشيعية وسط المعتصمين وأكد الحزب فى بيان له أنه ليس حزبا شيعيا كما اتهمه أنصار الشيخ حازم وإنما هو حزب سياسى يحمل أجندة خاصة ومعلنة.

وجاء فى بيان الحزب: تعرض أفراد من حملة «حازمون» أنصار الشيخ حازم أبو إسماعيل لشابين من شباب الحزب وهما يقومان بتوزيع نشرة الحزب التي تحمل عنوان {الغرب الكافر وعلى رأسه أمريكا لا يريد للإسلام أن يسود، ويخشى من الخلافة أن تعود. هذه هي حقيقة الصراع على التأسيسية والترشح للرئاسة}، وقاموا بضرب الشابين، وطرحوهما أرضاً، وانهالوا عليهما باللكمات والركلات، حتى كسروا سنّ أحدهما، وصادروا ما معهما من منشورات، ومن ثم اقتادوهما إلى غرفة «التحقيق» تحت منصتهم الكائنة في ميدان التحرير جهة مسجد عمر مكرم، وبعد أكثر من ساعة قاموا بإطلاق سراحهما. وقد توجه الشابان إلى قسم شرطة قصر النيل وحررا محضرا بالواقعة تحت رقم ٢٠١٢/٤٥١٣ جُنح قصر النيل، بتاريخ ٤/٢٥. وقد تم تحويل أحد الشابين إلى مستشفى المنيره لإجراء الفحص الطبي عليه.

وأكد الحزب في بيانه أن الأمر نفسه تكرر أكثر من مرة زاعما أن أنصار الشيخ حازم قاموا بالاعتداء في إحدى المرات على محمد عبد القوي وكيل مؤسسي الحزب يوم الجمعة ٤/٦ تحت ذريعة

أنه يروج لأفكار الشيعة.

يذكر أن حزب التحرير الإسلامي هو حزب تحت التأسيس حيث لم تبت لجنة شئون الأحزاب المصرية في أمره حتى الآن، فيما رفضت اللجنة نفسها منح ترخيص لحزب شيعي يحمل نفس الاسم «حزب التحرير» يتزعمه الناشط الشيعي أحمد راسم النفيس.

في ليبيا

وصلت أفكار حزب التحرير إلى ليبيا منتصف خمسينيات القرن الماضي، وكان أول من أنشأ حلقاته هو الشيخ حسن عبد اللطيف أبو سلطان الذى كان مدرسا بمعهد التعليم العالي بمدينة بنغازي، وهو فلسطيني من مواليد ١٩١٨. وتم ترحيله من البلاد عقب الانقلاب عام ١٩٦٩. غير أن الطفرة الكبرى التي شهدها الحزب جاءت خلال الستينات عبر انتشار كبير في أوساط المدارس الثانوية، وفي الكليات الجامعية، في كل من طرابلس وبنغازي.

في عام ١٩٧٣ اعتقلت السلطات الليبية معظم قيادات وأعضاء الحزب، وبلغ عددهم نحو أربعين شخصا ما بين عضو ودارس، وكثير منهم من الشبان الذين تراوحت أعمارهم ما بين السادسة عشرة، والخامسة والعشرين، وقد تم الافراج على العدد الأكبر منهم في يوليو عام ١٩٧٤، لكن الهزة الكبرى التي ضربت الحزب في ليبيا كانت عندما قام نظام القذافي في أبريل من عام ١٩٨١ باعتقال ثلاثين شخصا من نشطاء الحزب في طرابلس وبنغازى وأجدابيا. وفي أبريل عام ١٩٨٢ جرت محاكمتهم أمام المحكمة الثورية التي حكمت بالإعدام حضوريا على ١٣ منهم.

ومنذ حملة الإعدامات هذه انتهى نشاط الحزب في ليبيا تماما، واختفت منشوراته وإصداراته هناك، فقد اتجه شباب الحزب، كما غيرهم من أعضاء التنظيمات الأخرى المحظورة إلى الاهتمام بشئون حياتهم وأسرهم، واندمجوا في الحياة الاجتماعية كل حسب الظروف المناسبة له ليظهروا مجددا مع اندلاع الثورة في ٢٠١١/٢/١٧، وكان الحزب منذ البداية ضد تدخل الناتو في البلاد وحذر في بيان أصدره بتاريخ ٢٠١١/٢/٢٦، أهل ليبيا من القبول بالتدخل الأجنبي في بلادهم، قائلا: «وكما كنتم أقوياءَ في وجه الطاغية، فكونوا كذلك أقوياءَ في وجه أيِّ تدخلٍ للغرب في بلدكم الطاهر، فلا تخدعنَّكم كلمات الغرب المعسولة بالأغراض الإنسانية، فَتَدعوهم يوجدون لهم بينكم موطئَ قدم، فتندموا ولاتَ حين مَنْدَم».

وكان البديل من وجهة نظر الحزب أن ينقلب الجيش الليبي على نظام القذافي، معتبراً أنّ الجيش يمكنه إسقاط القذافي ووقف سفك دماء المسلمين، فقال: «إنكم لقادرون على حسمِ هذا الأمر بإهلاك هذا الطاغية الدموي، وإنْقاذ الأرضِ والعِرض من جنونه وهلوساته... وفي الوقت نفسه، فإنكم لقادرون كذلك على منع أي تدخُّلٍ غربيٍ بشقيه الأوروبي والأمريكي في بلدكم، فلا تضيع تلك الدماء الزكيةُ سدىً، ولا تذهب تلك التضحياتُ دون جدوى».

ومع نجاح الثورة الليبية وإسقاط نظام القذافي دعا حزب التحرير الأهالي في ليبيا بالعمل على إقامة الخلافة هناك، وقد أصدر بيانا بهذا الشأن في ٢٠١١/٨/٢٨ جاء فيه: «إن الرائد لا يكذب أهله، وإن حزب التحرير لكم من الناصحين، فهو منكم وإليكم، فاحذروا مؤامرات أوروبا وأمريكا، وأزلامهم وعملاءهم، واحذروا مشاريعهم العلمانية العفنة، ومسمياتها المختلفة من علمانيةٍ دكتاتورية، أو ديمقراطية أو رأسمالية... فكلها لا تغني من الحق شيئا، بل هي الطريق إلى الظلم الذي سالت دماؤكم للانفكاك منه... وانصروا حزب التحرير بإعلان حكم الإسلام، الخلافة الراشدة التي يرضى عنها الله ورسوله والمؤمنون... ويومئذ لا تضيع دماؤكم سدى، ولا تضحياتكم عبثاً، بل تغبطكم تلك الدماء، وتُسَرُّ بكم تلك التضحيات، ويذكركم الله في ملأ من

عنده، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾».

وقد انتشرت في الآونة الأخيرة صفحات على الفيسبوك لحزب التحرير في ليبيا يعرض لأهم أفكاره ورموزه وضرورة إقامة الخلافة الإسلامية والاحتكام لشرع الله، غير أن الحزب في حد ذاته يبقى إلى حد كبير بعيدا عن الواقع في ظل وجود حركات إسلامية تمتاز بقواعدها الشعبية العريضة وبقدرتها على التأثير والتفاعل في مجتمعها لوضوح طرحها وعدم الاختلاف على منابعها الشرعية.

في سورية

وقف حزب التحرير مع الثورة السورية ودعمها على طول الخط لكن ذلك لم يكن- ولن يكون- بالبندقية كما فعل الثوار للتصدي لمجازر بشار الأسد، وإنما بالبيانات والمنشورات والخطب الرنانة، ولا عجب في ذلك فمنهج النضال المسلح يخالف تماما قناعات الحزب وأفكاره، وهو ما عبر عنه مسؤول المكتب الإعلامي للحزب في لبنان أحمد القصص في مؤتمر الحزب الذي عقد في الأول من مايو ٢٠١٢ بمدينة طرابلس اللبنانية تحت عنوان «ثورة الأمة: مخططات الإجهاض وحتمية المشروع الإسلامي» حيث قال محاولا تلافي هذا التناقض الذي يأخذه الكثيرون على الحزب: «وجودنا في صلب الثورة السورية لا يعني أننا نمارس العمل العسكري، فنحن ليس لنا أي نشاط في هذا المجال، لكن ثأرنا مع النظام السوري يكون في وقوفنا إلى جانب الشعب السوري، لأن الأمة التي تسامح من ارتكب بحقها المجازر، هي أمة لا تستحق الحياة».

ورغم اكتفائه بالجانب الخطابي في الثورة السورية- كذلك فعل في باقي الثورات العربية- يرى حزب التحرير في نفسه البديل الحتمي بل والشرعي لنظام الأسد، وهو ما يعبر عنه في العددين ٣٠٤- ٣٠٣، والصادرين بتاريخ ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٤٣٣هـ ، مارس وأبريل ٢٠١٢م من مجلة الوعي التابعة للحزب، في كلمة للمجلة بعنوان «خارطة طريق في سوريا لإقامة الخلافة الإسلامية» حيث جاء ما نصه: «أن يقوم أهل القوة من المسلمين، ومن منطلق الإيمان وإرادة تحقيق الحاكمية لله في الأرض، بالأخذ على يدي الحاكم الظالم وإسقاطه لإقامة حكم الله مكانه؛ بحيث تلتقي يد الضباط المخلصين في الجيش السوري النظامي بيد الضباط المخلصين من المنشقين بيد الضباط المخلصين الذين يعملون مع حزب التحرير تلتقي في عمل يقضي على هذا النظام المجرم بنيَّة إقامة حكم الله سبحانه وتعالى».

الخطوة الثانية التي ينادي بها الحزب في ذلك السيناريو الرومانسي أن يقوم هؤلاء الذين يسقطون الأسد بتسليمه السلطة لأنه يمثل «الثلة المؤمنة» وهنا يبرز مجددا عنصر تزكية النفس والاستعلاء على الغير من أبناء الحركات الإسلامية الأخرى، تقول مجلة الوعي: «أن يقوم هؤلاء الأنصار بتسليم الحكم للثلة المؤمنة التي أعدت نفسها لإقامة هذا الفرض العظيم، فرض إقامة الخلافة، فيكون عمل أهل القوة هو إسقاط النظام السوري، ومهمة هذه الثلة هو إقامة الدين بإقامة فرض الخلافة الراشدة. وهذه الثلة موجودة بفضل الله تعالى، وهي على أتم الاستعداد لإقامة هذا الفرض العظيم. وبهذا يلتقي أهل الإيمان من المسلمين عامة، مع أهل الإيمان من أهل القوة خاصة، مع أهل الدعوة في هذه الثلة المؤمنة على صعيد واحد هو إقامة الخلافة الراشدة الثانية الموعودة. أما من هي الثلة المؤمنة التي هيأت نفسها لإقامة هذا الأمر؟ فإننا نعلن بكل صراحة وبكل مسؤولية يقتضيهما الإيمان: إنه حزب التحرير».

خاتمة:

لقد أثبتت مسيرة الحزب التاريخية سذاجة فكره ومنطقه، وجاءت الثورات العربية لتبرهن على فشل نظرية الحزب «طلب النصرة» من الجيش أو القوة الغاشمة في إزالة الأنظمة المجرمة.

ولكن لأن لحزب التحرير دوراً مرسوماً وعملاً لا بد أن يقوم به لا يتوانى من الصراخ بوجوب قيام الشرفاء ببذل دمائهم لإسقاط الطغاة — في الوقت الذي قد ينشغل فيه قادة الحزب وأعضائه بمشاهدة الأفلام - ومن ثم يسلمونه القيادة لإقامة دولة الخلافة، في انتهازية ووقاحة لا مثيل لها!!

علاقة حزب البعث العربي الاشتراكي بالشيعة في العراق

عبد الهادي علي[*]

نشأة حزب البعث:

تأسس حزب البعث في دمشق سنة ١٩٤٧ على يد نصراني ومسلم هما: ميشيل عفلق وصلاح البيطار، وسيطر هذا الحزب الذي جمع بين القومية العربية والاشتراكية على السلطة في سوريا سنة ١٩٦٣ وفي العراق سنة ١٩٦٨.

والبعث حزب قومي اشتراكي علماني انقلابي له طروحات فكرية متعددة، والرابطة القومية عنده هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدول العربية والتي تَكفل الانسجام بين المواطنين وانصهارهم في بوتقة واحدة، وتكبح جماح سائر العصبيات المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والإقليمية، وأما الاشتراكية في فكرِه فهي تعني تربية المواطن تربية اشتراكية علمية تعتقه من كافة الأطر والتقاليد الاجتماعية الموروثة والمتأخرة لكي يمكن خلق إنسان عربي جديد بعقل علمي متفتح، ويتمتع بأخلاق اشتراكية جديدة ويؤمن بقيم جماعية.

ويعتبر الحزبُ الرجعيةَ الدينيةَ[1] إحدى المخاطر الأساسية التي تهدد الانطلاقة التقدمية في المرحلة الحاضرة؛ ولذلك توصي القيادة القومية بالتركيز في النشاط الثقافي بالعمل على علمانية الحزب، خاصة في الأقطار التي تشوّه فيها الطائفية العمل السياسي، وإن أفضل سبيل لتوضيح فكرتها القومية هو شرح وإبراز مفهومها التقدمي العلماني، وتجنب الأسلوب التقليدي الرومنطيقي في عرض الفكرة القومية ولذلك سيتركز النضال في هذه المرحلة حول علمانية الحركة ومضمونها الاشتراكي لاستقطاب قاعدة شعبية لا طائفية من كل فئات الشعب، وبهذا تكون فكرة حزب البعث عربية الإطار والمظهر، شيوعية الحقيقة والمخبر، وقد استهتر الحزب بالقيم حتى قال قائلهم:

آمنت بالبعث رباً لا شريك له
وبالعروبة ديناً ما له ثان

لذا كان الحزب مأوى يتجمع فيه كل الناقمين على الإسلام أو الطامعين في الحكم، **ففي سوريا:** انتبه النصيريون إليه ودخلوه ليكون سلّما إلى دولتهم النصيرية، ودخل فيه الإسماعيليون مثل: سامي الجندي وعبدالكريم الجندي، والدروز: مثل سليم حاطوم، واليهود: مثل أحمد رباح الذي كان رئيسا للحزب في دمشق وإيلي كوهين الجاسوس الإسرائيلي الشهير، كما أن غالب مؤسسي الحزب ليسوا مسلمين أصلا، فزكي الأرسوزي نصيري ملحد، وميشيل عفلق مسيحي- حتى قيل إنه يهودي يوناني الأصل.

أما في العراق فقد تأسس البعث في الناصرية والنجف سنة ١٩٥٢ على يد فؤاد الركابي (أمين السر)، وقد لقي حزب البعث دعماً كبيراً من المرجع محسن الحكيم، المرجع الشيعي الأعلى وقتها، وكان عضو الارتباط بين حزب البعث والحكيم هو حسين الصافي.

وكان الشيعة هم الغالبية فيه كما أن لهم الحصة الأكبر في قيادته إلى سنة ١٩٦٣[2].

صحيح أن حزب البعث ليس له دين، بل هو حزب اشتراكي علماني، الولاء للحزب هو الأساس، لكن جذور الإنسان تعيده إلى أصوله؛ فمثلا الشيعي مهما حمل من ثقافات بعثية أو شيوعية يبقى تراث المظلومية والشعور بالإقصاء يعيش في دمه بينما لا يمتلك السني مثل هذا الشعور.

(*) كاتب عراقي.

(١) Reactionism ومن المؤسف أن مصطلح الرجعية عندما أطلق على الحركات الدينية. بينما الغرب لم يعبر عنه بالدين، وهو في الغرب مصطلح سياسي يقصد منه معارضة الإصلاحات الحديثة، والتمسك بالأسس والأساليب والمبادئ القديمة، في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي أصبحت بالية، ولا تحقق الأهداف القومية، وهى عكس الليبرالية في النظام السياسى الغربي وعكس التنوير كثقافة.

(٢) المجتمع والدولة في المشرق العربي، غسان سلامة (ص ٩٢).

وحزب البعث بعد تسنمّه السلطة سنة ١٩٦٨ كانت الأسماء الشيعية هي الأشد سطوعا في المسؤولية ومنها: **ناظم كزار**، مدير الأمن العام والأشد سطوة في عالم التعذيب والقتل، وعلي وتوت، وهو حاكم عسكري وهو الذي حكم على مهدي حكيم بجرم الخيانة العظمى، وجعفر قاسم حمودي، وسعد قاسم حمودي، وحمزة الزبيدي رئيس الوزراء الشيعي والذي تلاه أيضا رئيس وزراء شيعي آخر وهو سعدون حمادي ثم صار رئيساً للبرلمان طوال فترة الحكم، وهاني الفكيكي، وحسن علوي، وعدنان حمداني، وحسن علي العامري، ومزبان خضر هادي، وعزيز صالح النومان ومحمد سعيد الصحاف.

ومعلوم أن قوة الحزب الضاربة من الشيعة فناظم كزار أكبر مجرم في تاريخ العراق تولى مديرية الأمن ومساعده علي رضا باوة (كردي أفيلي أي شيعي)، ومدير التحقيقات علي الخاقاني.

نسبة الشيعة في حزب البعث العراقي والجيش وأجهزة الدولة:

❖ نسبة الشيعة في كادر الحزب وفي القيادات الوسطية: ٧٥٪، و٥٠ ٪ من أعضاء القيادة القطرية شيعة.

❖ نسبة الشيعة في الجيش ٨٠٪ وتصل إلى ٦٠٪ بين الضباط.

❖ نسبة الشيعة في الحرس الجمهوري ٦٠٪ من الجنود، و٥٠٪ من الضباط.

❖ نسبة الشيعة في الحرس الخاص ٣٠٪ من الجنود، و٢٠٪ من الضباط.

❖ نسبة الشيعة في المخابرات ٦٠٪.

❖ نسبة الشيعة في الأمن العام ٧٥٪ من الجنود، و٤٠٪ من الضباط.

❖ نسبة الشيعة في الدوائر الحكومية ٨٠٪ من الموظفين، و٦٠٪ من المدراء العامين.

❖ نسبة الشيعة في مجلس القيادة القطرية (مجلس الوزراء) ٥٥٪.

❖ القائمة التي أعلنها الغزاة الأمريكان (قائمة الـ ٥٥ مطلوبا) ٣٥ منهم شيعة و١٤ سنة وواحد مسيحي.

هل البعث يعادي الشيعة؟

ليس لحزب البعث موقف مبدئي بمعاداة الشيعة، فالحزب كان قد احتضن الخميني وهو معمم وعالم شيعي؛ ولو كان حزب البعث ضد الشيعة كطائفة لما استضاف الخميني أكثر من عشر سنوات، وأقاموا له إذاعة بالفارسي وابنه مصطفى الخميني كان الوسيط بين أبيه وحزب البعث، وقد دعم البعث العراقي الخميني ومجموعته حتى منحهم جوازات عراقية للتنقل، بل دربوا عسكريا بمعسكرات خارج النجف وكان المسؤول عنهم يزدي زادة.

والخميني كانت له صلات قوية بالبعثيين، فقد كان الخميني يتوسط عند صدام في القضايا المتعلقة به وكان رجاؤه يقبل حتى في المناسبات الخطيرة كما حدث في عام ١٩٧٠ عندما حكمت محكمة الثورة على حسن الشيرازي بالإعدام لاتهامه بالتجسس لصالح دولة أجنبية، فتوسط الخميني عند صدام حسين الذي كان آنذاك نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة يطلب الرحمة والعفو عن المتهم، فقبل رجاءه وأعفى عن الشيرازي وأطلق سراحه بعد شهرين، وعندما توفي ابنه مصطفى قدم الخميني رجاءً إلى الرئيس العراقي يطلب إصدار الأمر بدفن ابنه في الروضة الحيدرية (بصورة استثنائية) الأمر الذي كان ممنوعا إلا بقرار من مجلس قيادة الثورة، فقبل رجاؤه ودفن ابنه حيثما أراد الخميني.

وطلب أحمد ابن الخميني من الحكومة العراقية حماية أبيه من عمليات السافاك، وتم تخصيص حماية له، وعندما غادر الخميني العراق إلى الكويت ولم تسمح له السلطات الكويتية بالدخول إلى أراضيها بقي في الحدود الكويتية حيران لا يدري ماذا يفعل فعلمت حكومة العراق بذلك فوافقت على عودته إلى العراق، وقيل له إنه يستطيع العودة إلى النجف والعيش فيها إذا شاء على شرط أن يحترم قوانين العراق[1].

فلو كان حزب البعث ضد الشيعة لما فعل ذلك

(١) من كتاب (الثورة البائسة) لموسى الموسوي.

بـل البعـث لا يفكـر بـشيعة وسـنة وإنمـا يهـتم بمصالحه العلمانية وله رؤيته الخاصة، وقد أثبتت الأيام فيما بعد أنها رؤى ضيقة وغير مدروسة.

ولأن حزب البعث حزب لا يؤمن بالتعددية، فهو حزب إقصائي لا يؤمن إلا بفكره، فهو يحارب بكل ما أوتي من قوة وبطش كل من يريد أخذ السلطة منه، سواء كانوا سنة أو شيعة أو شيوعيين أو ناصريين؛ لذا عندما قاد الشيعة عدة مؤامرات على نظام البعث واجهها بكل قوة، ولكن ليس لأنهم شيعية، ولكن لأنهم نافسوه على السلطة التي يعتبرها حقا قدريا وأنه هو قدر الأمة، ومن أشهر هذه المحاولات:

١- محاولة عبد الغني الراوي (سني) بمؤازرة من جهاز السافاك (المخابرات) الإيراني.

٢- محاولة اغتيال صدام في الدجيل سنة ١٩٨٢، مما عرض الدجيل لانتقام صدام، والتي بسببها أُعدم صدام حسين لاحقاً.

٣- مظاهرات خان النص، نتيجة إحساس المرجعيات بأن البعث سيقص أجنحتها تباعا[1].

وكذا كانت هناك محاولات سنية للانقلاب على البعث قابلها البعث بالبطش أيضاً، بل إن كل محاولات الانقلاب بعد احتلال العراق للكويت (في التسعينات) كانت سنية بامتياز، ومنها:

١- محاولة اغتيال صدام في العرض العسكري من أفراد عشيرة الجبور (السنة منهم).

٢- محاولة انقلاب راجي التكريتي وبشير الطالب وجاسم مخلص التكريتي التي كشفهاالأمريكان لصدام حسين.

٣- محاولة اللواء الطيار محمد مظلوم الدليمي.

٤- انشقاق حسين كامل وانشقاق حامد الجبوري وهشام الشاوي.

موقف الحزب بعد الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠- ١٩٨٨)

في الحرب العراقية الإيرانية تكشفت أمورٌ كثيرة، فقد أظهرت الأحزاب الشيعية الدينية ومنها حزب الدعوة وجهها الحقيقي الشيعي المذهبي، ومارست العمل ضد العراق كدولة وليس ضد البعث كحزب لصالح إيران، فقد جرت محاولات لتفجير الجسور وإثارة الفوضى - وهو نفس ما تعمله القاعدة اليوم- وكان حزب الدعوة قد تدرب في إيران على التخريب ومحاربة الجيش العراقي، وهم مواطنون عراقيون وبلدهم في حالة حرب مع إيران، وأقلها أن يقف المرء على الحياد في هذه الحرب!!

فلماذا يدّعى الآن أن حزب الدعوة والشيعة حوربوا لأنهم شيعة؛ أي حوربوا من أجل المذهب؟

وإن كان الشيعة وحزب الدعوة في خلاف وصراع مبدئي ومنهجي مع حزب البعث، فلماذا يصطفون مع حزب البعث السوري اليوم؟

في الحرب العراقية الإيرانية تكشفت لحزب البعث حقائق ووثائق خطيرة حول شيعة العراق وأن التيار الديني الشيعي ومرجعياته هم رهينة إيرانية نتيجة للمذهب، ولكن الحزب تهرب من مواجهة الحقيقة وفسّر هذا السلوك على أنه عداء قومي بين إيران والعرب، أي عداء فارسي عربي بسبب منظوره العلماني القومي، لذا كان اختيار موضوع ومسألة الشعوبية تفسيرا لسلوك الشيعي وإيران وأنه هو المحرك الأساس لإيران ضد العرب ومنهم العراق، وأن التشيع هو المُستغل والمطية للحركة الشعوبية؛ وهو تفسير قومي قديم ومعروف في العراق منذ أيام ساطع الحصري، إذ أن التيار القومي يرفض التكلم في المذهب (الشيعي) بل يفسّر سلوك التشيّع من منطلق قومي شعوبي، وهو تفسير يتناسب وطريقة تفكير حزب البعث، والبعثيون ليومنا هذا يفسّرون سلوكيات الأحزاب الشيعية وإيران ذاتها على أنها سلوك قومي وليس دينياً؛ وهو جزء من الحقيقة في نظرنا ولكنه الجزء الأقل أهمية!!

وحزب البعث اضطر إبان الحرب العراقية الإيرانية أن يجند كل طاقاته الفكرية والفنية (الإذاعة والتلفزيون والجرائد والمجلات) ضد إيران كون منطلقها فارسياً شعوبياً، ولكن تورط

---

(١) هل الشيعة مضطهدون حقا؟ وما هي مواقعهم خلال حكم الرئيس صدام؟ د. نوري المرادي

http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=5456c780daa0a24e

أصحاب المذهب ومراجعهم والكشف عن تورط شيعي مذهبي حقيقي بالقضية؛ جعل البعث يتوجه لمحاربة الفكر الشعوبي ثقافيا؛ فألف البعثي الشيعي حسن علوي كتاب **(دماء على نهر الكرخة)** باسم مستعار هو: حسن السوداني، وهو نقد للسلوك الصفوي الشيعي، وتبنى بعض الكتّاب بشكل أعمق فكرة الكاتب الإيراني علي شريعتي في مؤلفاته التي تبنت تفسير سلوكيات الشيعة اليوم على أنه تشيّع صفوي دخيل على التشيع العلوي الحقيقي.

وكتب الدكتور محمد البنداري - اسم مستعار للدكتور بشار عواد معروف - **كتابه) التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي)** لأنّ الوثائق الأمنية كانت تبين للقيادة العراقية تورط الشيعة في خيانة البلد كمذهب، وتعاطف بعض أعضاء حزب البعث (الشيعة) مع إيران؛ لذا أصبح التقييم للرجال - ومنذ الأيام الأولى للحرب العراقية الإيرانية- ومواقفهم عند حزب البعث على أساس الموقف من الحرب ، وقد وجد الحزب أن العشائر العربية السنية في الدرجة الأولى ليس لها ولاء إلا للعراق وأنهم يستشعرون عداء إيران التاريخي للعراق، وهم أكثر اندفاعا من غيرهم لمحاربة هذا الخصم اللدود، وكذا كان موقف العشائر العربية الشيعية ضد إيران ولكن بنسبة أقل.

وظهر للقيادة أن الشخص الشيعي لابدّ من التأكد من ولائه الحقيقي بخلاف السني؛ لأن الشيعي إذا تديّن أصبح أقل ولاء من السني لبلده العراق سيما في هذه الحرب، وأكد هذه النظرة وصدقها فيما بعد الانتفاضة الشعبانية سنة ١٩٩١؛ فعندما ثار الشيعي كان التحرك يحمل صبغة طائفية في الجنوب، فقد كان الهتاف باللهجة العراقية: **ماكو ولي إلا علي وإنريد حاكم جعفري)** هذا الشعار كانت دلالاته كبيرة وانعكاساته في الوجدان الشيعي بما يحمل من قوة روحية تعبئ وتحرك الشارع الشيعي العراقي حتى قال أحد الشيعة: إن هذا الشعار كان غائباً ١٤٠٠ سنة بعد أن غُيبنا واضطهدنا وقتلنا وشردنا وظلمنا ويُتمنا وغصب حقنا ودفنا في مقابر جماعية ونحن أحياء نتنفس التراب العراقي.

في هذه الانتفاضة ثار أغلب الشيعة ضد الحكومة العراقية ومؤسساتها، نعم كان كل العراقيين حانقين على سلوكيات حزب البعث وصدام حسين الحمقاء يوم أن دخل الكويت وحمّل الشعب العراقي تبعات سيئة نعيش ليومنا هذا في نتائجها، لكن السُنة في الغالب لم يكونوا ليثوروا والأمريكان يدكّون بغداد ومدن العراق بالقنابل ويهدمون البنى التحتية للدولة العراقية، لكن إيران كانت تنتظر بالمرصاد هذا اليوم، وتحريك الشيعة من قبل إيران عمل تمارسه إيران بسهولة ويسر مُستغلة تركيبة المذهب في الجنوب.

والسؤال: لماذا تستطيع إيران أن تحرك الشيعة ولا تحرك السنة؟

والجواب واضح؛ لأنها تستغل المذهب الشيعي وما يحمله من أفكار من مثل المظلومية والثأر والعيش في التاريخ وإقصاء الآخر وتكفيره.

يومها أحست القيادة العراقية أن نَفَساً جديداً بدأ يتولد في المجتمع العراقي وبالتحديد في الوسط والجنوب، وأن كل التثقيف البعثي والقومي والوطني يتبخر في لحظة ويعود بالفرد الشيعي إلى هويته المذهبية وإلى مظلوميته المزعومة؛ لذا رأت القيادة أن سحق هذه الانتفاضة لابد أن يكون بأيدٍ سنية لا شك في ولائهم للبلد وليس للطائفة، وشاركهم بعض البعثيين الشيعة بعد ذلك كحمزة الزبيدي وغيره.

الحزب بعد سنة ١٩٩١ ومرحلة الحصار:

دخل العراق وحكومته طورا جديدا، فقد حُكم على العراق بالحصار منذ سنة ١٩٩٠ ودمّرت البُنى التحتية للبلاد ودخلت مشاكل الحصار والفقر والضغوط الدولية، وتوجه الحزب بالتدريج إلى محاربة المحتكرين إضافة إلى محاربة الفكر السلفي (الوهابي) وبدأ يتقرب بالتدريج نحو تيارات دينية أخرى (فقد أعطى جماعة الإخوان المسلمين حرية أكبر من السلفيين لكن الحرية أعطيت للتيار الصوفي بالدرجة الأولى)، وكان الشعب العراقي في حالة كراهية تجاه الحزب وصدام حسين لما سببه دخوله الكويت من مآسٍ للشعب،

وظهرت عدة محاولات سنية للتخلص من صدام وحكومته كما ذكرنا سابقا، لكن كيف كان سلوك الشيعة الديني في مرحلة الحصار تلك؟

لقد تحولت الكيانات الشيعية الدينية إلى مكونات معارضة في أوربا وأمريكا وسوريا وإيران وبالتحالف مع الأكراد وقليل من السنة القوميين والوطنيين وغيرهم، ودعمتهم بشكل غبي الدول العربية؛ لأن همّ الدول العربية وقتها كان التخلّص من نظام صدام دون النظر إلى عواقب ومآلات هذا التغيير، فالبديل القادم لا تُعرف ماهيته بوضوح وهو مجهول؟

وكان همّ المعارضة هو جلب الاحتلال بغية الحصول على حكم شيعي؛ لذا ومنذ ذلك التاريخ بدأ الربط بين السُنّة وحكم البعث والزعم بأن البعث هو حزب سُني، وأن الأكثرية الشيعية مظلومة وهكذا.

وممن رسخ هذه المفاهيم المغلوطة الشعوبي الشيعي الهندي الأصل حسن عليوي هندش في كتابه الخبيث **(الشيعة والدولة القومية)** الذي ألفه سنة ١٩٩٠[١]، وابن هندش هو وأمثاله من البعثيين المنافقين رسخوا أفكاراً طائفية ذميمة خلاصتها: أن حزب البعث بل الحكم في العراق هو حكم سني منذ سنة ١٩٢١ واتهم السُنّة بالخيانة والعمالة لبريطانيا، واستخدم هذا الكتاب لبث سمومه التحريضية التقسيمية.

في ذات الوقت ظهرت حوادث كثيرة في محافظات الوسط والجنوب تؤكد تصرفات جزء من الكوادر الحزبية البعثية بشكل طائفي لكن هذه الأمور كان يُغض الطرف عنها من قبل القيادة العليا، في الوقت الذي قامت فيه الحكومة العراقية بحملة قوية لمطاردة التيار السلفي (الوهابي) باعتباره خطراً على العراق، وساهم في ذلك أن بعض أعضاء الحزب المقربين من التيار الصوفي (مثل عزة الدوري) بدأ يحارب التيارات السلفية بشكل حاد، وهو ما استغله كثير من الشيعة في الحكومة والحزب لضرب التيار السلفي والذي وقف بوجه مخططات الشيعة في البلاد، وهو كان من أعرف أهل العراق بها، واستطاع خلال فترة الثمانينات إلى الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣ تحويل أكثر من نصف مليون شيعي إلى مذهب أهل السنة.

كما أن التيار الشيعي بدأ يعيد تأسيس خلاياه ونشاط أحزابه بالعودة والعمل داخل العراق، وأثمر ذلك محاولة اغتيال عدي ابن الرئيس العراقي صدام حسين سنة ١٩٩٦، والذي أصيب من يومها بالشلل، كما أن تحركاتهم في الجنوب أصبحت قوية وواضحة، ومنذ ذلك الوقت برز التيار الصدري، وحزب الدعوة والمجلس الأعلى وحزب الله، في ذات الوقت كان الشيعة في الخارج يحرضون الدول الكبرى على إسقاط صدام ونظامه عسكريا.

البعث بعد الاحتلال:

الاحتلال زلزال مرّ بالعراق ودمره بالقوى الأنكلوسكسونية التي استدعتها القوى الكردية والشيعية لا لتحتل العراق وحسب بل لتدمره وتقلبه رأسا على عقب، وتحطم جهد ٨٠ عاما من بناء الدولة العراقية الحديثة، والتي بنيت على أيدي رجال أكفياء (وأكثرهم سنة)، كان الاحتلال بالنسبة لحزب البعث كارثة أخرى فقد أزيح الستار عن حكم دام ٣٥ عاما وكأنها إزاحة إلى الأبد، فقد بهت الحزب لوضعه الجديد ولم يعرف ما هي الخطوة التالية، وهم يواجهون منذ أول أيام الاحتلال مطاردات من هنا وهناك لبعض الرفاق وتخرج قائمة المطلوبين بـ (٥٥ شخصاً) من القيادات البعثية، ثم صدر قانون اجتثاث البعث.

كانت الحملة الأولى في التصفيات من قبل الأحزاب الشيعية الدينية هي من نصيب البعثيين فلغاية الشهر الثامن سنة ٢٠٠٣ كان هناك تقرير عن مقتل ٣٠٠٠ بعثي كلهم سنة سوى ثمانية أو تسعة شيعة، وبرز دور الأحزاب الطائفية واضحا في ذلك، وبدأ أعضاء الحزب يهربون شيئا فشيئا خارج العراق، وانقسم الحزب إلى جماعة يونس الأحمد التي ارتمت نوعا ما في أحضان النظام السوري (النصيري) وجماعة عزة الدوري وهي الجماعة

---

(١) بعد أن كان بعثيا مقربا من صدام وهرب إلى بريطانيا.

الأكبر، وظل الحزب لسنين يحلم بالعودة أو الحاجة إليه، لكن الأمور سارت بخلاف ما يريد فقد تكونت حكومة شيعية بقيادة إبراهيم الجعفري ومن ثم نوري المالكي إلى يومنا هذا والحزب مطلوب ومطارد إلا أن كثيرا من الشيعة البعثيين اليوم يعملون وبمناصب عليا وفي أحزاب شيعية[1] ومنهم من رجع إلى وظيفته في حين أن أغلب البعثيين السنة بقوا مشردين في مصر واليمن والأردن وسوريا وفي أوربا.

واقع حزب البعث ومستقبله:

أفكار الحزب والتي كان من المفترض أن يكون أعيد النظر فيها لم تتغير بل تحجّرت على مفاهيم قديمة تشبه مرحلة السبعينات من القرن العشرين، ولا تمتلك رؤى صحيحة تفسر ما حدث في العراق سابقا ولا حلول واقعية للأمة.

ورغم أن كثيرا من أفراد الحزب تركوه كفكر بحكم السن، وفشل كثير من نظرات ونظريات الحزب، وتحولوا إلى شخصيات ملتزمة دينيا نوعاً ما، وخفت لهجة العلمانية عندهم[2].

وبدأ كثير من البعثيين السُنة يشعرون أن الشيعة كمذهب هم أحد مصادر السوء في العراق لا سيما بعد تغوّل إيران في العراق وتمدد التشيع، وأن هذا التعاون مع إيران غير مبرر، إضافة إلى أن سلوكهم كأفراد كان سلوكا مشينا، ومحاولات تشييع بغداد الديمغرافي بل والعراق كله واضحة للجميع، وسكوت الشيعة الوطنيين على هذا السلوك واضح إلا ما ندر (والنادر لا اعتبار له)، بل اكتشف الحزب أن الكثير من البعثيين يعملون مع الأحزاب الشيعية كجواسيس ضد أتباعهم مع الأسف، وتركت المبادئ في ليلة وضحاها وعادت الأمور إلى جذورها.

اليوم يحاول أهل السُنة أن يجمعوا قواهم من جديد لمواجهة ما يحصل في البلاد، وتكوين قوى وطنية أو قوى مدافعة للاحتلال أو مرجعيات سنية، وطبعا الحزب هو أحد المكونات التي ينتمي له السنة لذا فهم يحاولون جلب وكسب الحزب معهم لأن الحزب لا زال يمتلك أكبر قاعدة داخل العراق كحزب عراقي، لكن ينبغي على أهل السُنّة أن يعرفوا أن الحزب هو في أيام غروبه وفي أيام خريفه؛ لأنه وبعد سقوط نظام بشار العلوي – بإذن الله- وسقوط حزب البعث السوري سيكون حزب البعث بشقيه العراقي والسوري خلف أسوار التاريخ، فقد مكنه الله سبحانه ردحة من الزمن حكم فيها بلدين وتركهما خرابا يبابا، فضلا عن أن حزب البعث لم يعد يمتلك فكرا جديدا يساير به الواقع الجديد، وثبت أنه حزب إقصائي من الصعب أن يتعايش مع الآخر إلا حين يكون خارج السلطة.

وثمة قضية مهمة جدا؛ وهي أن أعضاء الحزب اليوم أصغرهم سنا هو في العقد الخامس من عمره، وحزب البعث من المعلوم توقف عن كسب أعضاء جدد، وهو لا يستطيع ذلك فالعراقيون اليوم في واد وحزب البعث في واد آخر، وبعد عشر سنوات سيكون الحزب حزبا عجوزا من بقايا الماضي، فلا داعي لأهل السُنة أن يتمسكوا به؛ لأنه لا مستقبل لهذا الحزب عند أهل السُنة، وشيعة العراق (بعثيون وغير بعثيين) متوجهون نحو الطائفية والتخلف المذهبي؛ لذا فعلى أهل السُنة أن يعوا أن أفرادا فقط من هذا الحزب يمكن أن يُنتفع بهم وبعد أن يتخلوا عن أفكاره؛ لأنها أفكار جامدة غير قادرة على الحياة، وأن يعيشوا في الجغرافية (الواقع) وليس في التاريخ، وأن يُنشئ أهل السُنة مكونات جديدة بعيدة عن هذا الحزب تفهم مشكلة العراق وخصوصية هذا البلد الذي يحوي عددا كبيرا من الشيعة ومجاورا لبلد مثل إيران، ولابد لعقلية رشيدة من أهل السُنة تفهم وضع العراق كي تحل مشاكله. والله من وراء القصد.

---

(١) تذكر بعض الأخبار أنه أثناء الأسر في إيران ذكر بعض الشيعة البعثيين أنهم سيبقون في الحزب تقية وبغية اختراقه.

(٢) وهذا شيء طبيعي في التاريخ الإسلامي فقد ذابت أفكار المغول بالإسلام تدريجيا وكذا ذاب البعثيون تدريجيا بالإسلام وبقيت فيهم شوائب ومكابرة وسوف تثبت الأيام أن الإسلام بما يحمله من قوة فطرية سيجذب كل المكونات ويذيبها به فإما أن تكون مزيجا غير صحيح بأفكار تلفيقية وإما أن تترك أفكار الحزب تدريجيا.

رؤية شرعية نقدية في فتاوى زيارة المسجد الأقصى والقدس بتأشيرة إسرائيلية

الشيخ الأستاذ الدكتور حسام الدين عفانه المقدسي(*)

يقول السائل: ما قولكم في الفتاوى المتضاربة حول زيارة المسجد الأقصى المبارك والقدس بتأشيرة إسرائيلية، أفيدونا ؟

الجواب: كثُر الحديث والنقاش في قضية زيارة المسجد الأقصى والقدس بتأشيرة إسرائيلية، وتحدث فيها جمعٌ كبيرٌ من المشايخ والمفتين والمتعالمين والكتاب والصحفيين والسياسيين وغيرهم، فكانوا بين مؤيدٍ لها ومعارض، ولتجلية القول في هذه النازلة المعاصرة من ناحية شرعية لا بد من تبيان الأمور التالية:

أولاً: قضية زيارة المسجد الأقصى والقدس بتأشيرة إسرائيلية، نازلة فقهية معاصرة، تحتاج إلى تأصيلٍ فقهيٍ وفق ضوابط دراسة النوازل الفقهية عند العلماء،ومن هنا يُستبعدُ قولُ غير أهل الشرع في بيان الحكم الشرعي فيها.

ثانياً: هذه القضية مسألةٌ معاصرةٌ، لم يرد بخصوصها نصوصٌ خاصةٌ من الكتاب والسنة، وبناءً على ذلك تبحث وفق ما قاله الفاروق عمر رضي الله عنه في كتابه الشهير لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم حيث قال: [ثم الفهمَ الفهمَ فيما أدلي إليك، مما ليس في قرآنٍ ولا سنةٍ، ثم قايس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال والأشباه، ثم اعمد إلى أحبها إلى الله فيما ترى، وأشبهها بالحق] إعلام الموقعين ١/٦٨.

(*) للعلم فضيلة الشيخ من قرية «أبو ديس» التي هي من «ضواحي القدس» ويستطيع أن يرى المسجد الأقصى من قريته، إلا أنه لا يستطيع أن يذهب إليه بسبب جدار الفصل العنصري !!

ومن المعلوم أن النصوص من كتاب الله ومن سنة النبي ﷺ ما نصت على كل الجزئيات، قال الإمام الشاطبي: [الشريعة لم تنص على حكم كل جزئية على حدتها، وإنما أتت بأمورٍ كليةٍ وعباراتٍ مطلقةٍ تتناول أعداداً لا تنحصر، ومع ذلك فلكل معينٍ خصوصيةٌ ليست في غيره ولو في نفس التعيين] الموافقات ٤/٩١.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلامه عن الحشيشة: [وأما قول القائل: إن هذه ما فيها آيةٌ ولا حديثٌ: فهذا من جهله؛ فإن القرآن والحديث فيهما كلماتٌ جامعةٌ هي قواعد عامة وقضايا كلية. تتناول كل ما دخل فيها وكل ما دخل فيها فهو مذكورٌ في القرآن والحديث باسمه العام وإلا فلا يمكن ذكر كل شيء باسمه الخاص] مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٤/٢٠٦.

ثالثاً: عند دراسة المسائل الشرعية عامة والنوازل المعاصرة يجب التجرد في البحث، ومجانبة الأهواء، وترك الاستطالة في أعراض أهل العلم، وإن خالفوا في مسائل، فإن العلم رحمٌ بين أهله، ووشيجة العلم أقوى من وشيجة القربى والنسب، والعلم ذمةٌ بين المشتغلين به، ويجب إحسان الظن بأهل العلم عملاً بقول النبي ﷺ: (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث) متفق عليه، وينبغي ترك النيات لرب الأرض والسموات.

رابعاً: هنالك توسعٌ ظاهر ومبالغة غير محمودة في زماننا في إطلاق الألقاب والصفات على المنتسبين للعلم الشرعي، نحو العالم العلامة، والإمام الأكبر، والداعية الإسلامي، والمفكر الإسلامي، وكذلك فإن كثيراً من حملة الشهادات العليا في العلوم الشرعية، تحملهم شهاداتهم ولا يحملونها!

خامساً: تسييس الفتوى من الأمور التي تخرج الفتوى عن جادة الصواب، فإذا سيقت الفتوى موافقةً للسياسة، فالغالب أن لا تنضبط بالضوابط

الشرعية، فلا يجوز جعل الدين عامةً والفتوى خاصةً مطيةً لتحقيق أهدافٍ سياسيةٍ أو إرضاءً للحكام.

سادساً: للمسجد الأقصى المبارك مكانةٌ عظيمةٌ عند أهل السنة والجماعة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا تُشدُ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى) رواه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ (أن سليمان بن داود عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالاً ثلاثةً سأل الله عز وجل حكماً يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله عز وجل ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده فأوتيه، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحدٌ لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه) رواه أحمد والنسائي وابن ماجة وابن حبان وهو حديث صحيح كما قال العلامة الألباني في صحيح الجامع.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال:(تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً) رواه الحاكم والطبراني والطحاوي وغيرهم. وصححه العلامة الألباني، بل قال عنه إنه أصح ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الأقصى، السلسلة الصحيحة حديث رقم ٢٩٠٢.

ومع ثبوت هذه الفضائل للمسجد الأقصى المبارك فإن زيارته سنةٌ مستحبةٌ وليست واجبة باتفاق أهل العلم، وعلى ذلك تدل النصوص الشرعية، **وعليه فالقول بأن زيارة الأقصى والقدس تُعد واجباً وفريضةً شرعيةً، دعوى باطلةٌ شرعاً،** كما قال بعض المؤيدين للزيارة: [يجب على المسلمين زيارة القدس].

واستدل بعض الصحفيين على وجوب زيارة المسجد الأقصى المبارك بحديث شد الرحال المذكور سابقاً، وهذا الحديث لا دلالة فيه على الوجوب المزعوم باتفاق أهل العلم.

سابعاً: القول بتحريم زيارة المسجد الأقصى والقدس بتأشيرة إسرائيلية، مسألةٌ أثيرت منذ أكثر من أربعين سنة، ولم يكن الشيخ الدكتور القرضاوي هو أول من أثارها، بل سبقه إلى ذلك عددٌ من العلماء، منهم شيخ الأزهر السابق الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود حيث رفض أن يكون مع السادات في زيارته للقدس.

وكذلك الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر ومفتي مصر السابق حيث قال: [إن من يذهب إلى القدس من المسلمين آثم آثم...والأولى بالمسلمين أن ينأوا عن التوجه إلى القدس حتى تتطهر من دنس المغتصبين اليهود، وتعود إلى أهلها مطمئنة يرتفع فيها ذكر الله والنداء إلى الصلوات وعلى كل مسلمٍ أن يعمل بكل جهده من أجل تحرير القدس ومسجدها الأسير].

وكذلك الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر السابق حيث قال: [إن تلك الزيارة لن تتم في ظل الاحتلال الإسرائيلي، وإن ذلك ينطبق على كل علماء المؤسسة الأزهرية الذين يتبنون الموقف نفسه] وقال أيضاً: [أرفض زيارة القدس، وهي مكبلة بسلاسل قوات الاحتلال الإسرائيلية؛ لأن زيارة أي مسلمٍ لها في الوقت الراهن يُعد اعترافاً بمشروعية

الاحتلال الإسرائيلي، وتكريساً لسلطته الغاشمة]

وكذلك الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الحالي الذي قال: [إن زيارة القدس لا تحقق مصلحةً للمسلمين، لأنها تتم في ظل احتلال اسرائيلي وبإذن من سلطات الاحتلال]

وكذلك الدكتور نصر فريد واصل مفتي مصر السابق حيث قال: [لن أزور القدس والمسجد الأقصى إلا بعد تحريرهما من وطأة الاحتلال الإسرائيلي، لأن زيارتي لها الآن أو أي مسلم على مستوى العالم تُعد تكريساً للاحتلال، واعترافاً بمشروعيته...لكن بإذن الله تعالى سأزورها ونزورها جميعاً وهي حرة مسلمة...وهذه المدينة المقدسة أمانة في عنق المسلمين، ولابد أن يبذل الجميع كل الجهد لتحريرها واستردادها بأية طريقةٍ من الطرق]

وكذلك الشيخ فوزي الزفزاف وكيل الأزهر الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية الذي أيد تحريم الزيارة للقدس،ولكن بشرط أن نبذل كل ما نملك لتحرير المسجد الأقصى... وإن زيارة المسلمين من غير الفلسطينيين للأقصى يعطي شرعية لإسرائيل لاحتلال القدس والمسجد الأقصى]

وكذلك الدكتور عبد المعطي بيومي عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الذي قال: [إن الذهاب إلى القدس الآن يعطي انطباعاً بأن الأمور عادية، ثم أنه يلزم الداخل إلى القدس الحصول على تأشيرة وهو اعتراف بشرعية إسرائيل وأن التواصل يكون بالنصرة والصلة الدائمة عبر المساعدات الفعالة التي تعطي قوةً لإخواننا الفلسطينيين]

وكذلك مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر فقد جدد رفضه زيارة القدس تحت الاحتلال حيث عقد مجمع البحوث الإسلامية جلسة طارئة بمشيخة الأزهر (٢٠١٢/٤/١٩) برئاسة الامام الاكبر الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر، وناقش أعضاء المجمع على مدى ثلاث ساعات متواصلة زيارة المفتي- علي جمعة - للمسجد الأقصى، وأعلن المجمع أن الأزهر الشريف يؤكد موقفه الرافض لزيارة القدس والمسجد الأقصى وهما تحت الاحتلال الإسرائيلي، وفي ختام جلسته جدد الأزهر الشريف قراره الرافض لزيارة القدس والمسجد الأقصى وهما تحت الاحتلال.وأكد أن الأزهر الشريف استمر على دعمه لقراره السابق بعدم جواز السفر الى القدس والمسجد الأقصى وهما تحت الاحتلال الاسرائيلي وذلك لما يترتب عليه من ضرورة الحصول على تأشيرات من المحتل الاسرائيلي ويعد نوعا من التطبيع.

وكذلك الدكتور أحمد عمر هاشم عضو مجمع البحوث الإسلامية، والدكتور محمد عثمان شبير والشيخ حامد البيتاوي خطيب المسجد الأقصى ورئيس رابطة علماء فلسطين، والشيخ عكرمة صبري مفتي فلسطين سابقاً وغيرهم كثير.

ثامناً: ومن باب أن الشيء بالشيء يذكر فإن هنالك بعض رجال الدين من النصارى قالوا بمنع أتباعهم من زيارة القدس ومنهم المطران عطا الله حنا رئيس أساقفة سبسطية للروم الأرثوذكس الذي قال: [إنني أرفض زيارة القدس في ظل الاحتلال فهذا موقف مبدئي أتمسك به وسأبقى ولكنني لا أشكك بمصداقية أو وطنية من يخالفونني الرأي.إن الذي يحرر القدس هو ليس زيارتها في ظل الاحتلال وإنما أن يتخذ العرب قراراً استراتيجيا بتحريرها واستعادتها وهذا القرار لم يؤخذ بعد باستثناء بعض المواقف والمؤتمرات التي تعقد هنا وهناك]

وقبله البابا شنودة الثالث بطريرك الكرازة المرقسية وبابا الإسكندرية الذي رفض ذهاب الأقباط للقدس وقال: [الشعب يعتبر أن زيارة القدس نوع من التطبيع مع إسرائيل ونحن لا نرغب أن نطبع مع

الإسرائيليين إلا إذا تمّ إنهاء احتلال الأراضي الفلسطينية وإنني لن أذهب إلى القدس إلا وهي محررة،ولن أعطي جواز سفري للسفارة الإسرائيلية كي أحصل على تأشيرة الدخول].

تاسعاً: ما ساقه المؤيدون لزيارة المسجد الأقصى والقدس بتأشيرة إسرائيلية من أدلة لا تنهض لإثبات صحة الدعوى، فمثلاً القول بأن النبي ﷺ قد صلى في المسجد الأقصى المبارك بالأنبياء والمرسلين ليلة الإسراء والمعراج قبل الفتح الإسلامي، واعتبار ذلك دليلاً على جواز الزيارة، كلامٌ باطلٌ،لأن الأمر يتعلق بمعجزةٍ خارقة للعادة.

وكذلك قياس زيارة المسجد الأقصى المبارك وهو تحت الاحتلال على زيارة النبي محمد ﷺ للمسجد الحرام إثر صلح الحديبية قياسٌ مع الفارق كما يقول الأصوليون.

وهكذا يقال في بقية الأدلة التي سيقت لتبرير الزيارة.

عاشراً: دعوى أن عدداً من علماء الأمة الكبار قد زاروا المسجد الأقصى والقدس إبان الاحتلال الصليبي لها كما قال أحدهم: [سبق أن وقعت القدس قبل قرونٍ تحت احتلال الفرنجة لسنواتٍ وعقودٍ طويلة، فأين فتاوى العلماء بتحريم زيارتها على المسلمين؟ كان فيها العز بن عبد السلام سلطان العلماء، وأبو حامد الغزالي حجة الإسلام، وابن تيمية شيخ الإسلام، فهؤلاء أعلام في العلم والفتوى والجهاد بالكلمة وغيرها في تاريخ الأمة الإسلامية، زاروها ولم يقولوا – من خلال ما علمت وقرأت واطّلعت . بأنهم لن يدخلوا القدس ما دامت تحت حراب الاحتلال الصليبي، بل على العكس من ذلك، فهذا أبو حامد الغزالي دخل القدس وهي تحت الاحتلال الصليبي من باب الأسباط فرأى ٣٦٠ حلقة علم في ساحات المسجد الأقصى المبارك فبكى لانخفاض مستوى إقبال الناس على العلم]

وأقول هذا الكلام يدل على جهل فاضح بالتاريخ فالعز بن عبد السلام ولد سنة ٥٧٧هـ وتوفي سنة ٦٦٠ هـ أي لما حررت القدس من يد الصليبيين سنة ٥٨٣ هـ كان عمره ست سنوات،

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية فمولده سنة٦٦١هـ أي بعد تحرير القدس من يد الصليبيين بحوالي سبعين سنة وتوفي ابن تيمية سنة ٧٢٨هـ.

وأما أبو حامد الغزالي فلم يدخل القدس وهي تحت الاحتلال الصليبي بل دخلها قبله بأربع سنين، قال ابن كثير في أحداث سنة ٤٨٨هـ: [وفي ذي القعدة منها خرج أبو حامد الغزالي من بغداد متوجهاً إلى بيت المقدس تاركاً لتدريس النظامية، زاهداً في الدنيا، لابساً خشن الثياب بعد ناعمها، وناب عنه أخوه في التدريس ثم حج في السنة التالية ثم رجع إلى بلده، وقد صنف كتاب الاحياء في هذه المدة] البداية والنهاية ٢٤٩/١٣. ومن المعلوم أن القدس سقطت بأيدي الصليبيين سنة٤٩٢ هـ.

وقد حوّل الصليبيون المحتلون المسجد الأقصى إلى إسطبل لخيولهم، فلم يكن هنالك صلاة ولا حلقات علم خلال تلك الفترة التي امتدت حوالي تسعين عاماً ؟!

أحد عشر: إن المعتمد الأساسي للمانعين من الزيارة هو النظر في مآلاتها وما يترتب عليها من التطبيع مع الاحتلال كما قال د.محمد شبير: [فإذا كانت الزيارة تنطوي على تطبيعٍ مع الاحتلال الصهيوني، وإقرارٍ له على احتلال القدس والمسجد الأقصى وباقي

فلسطين، فلا تجوز تلك الزيارة، وبخاصة إذا كان الزائر لا يدخل إلى فلسطين والقدس إلا بتأشيرة خاصة من دولة الاحتلال الصهيوني في الأرض المحتلة، أو من إحدى سفاراتها في خارج الأرض المحتلة، فلا يجوز للمسلم المقيم في كافة البلاد أو غيره الحصول على تأشيرة بقصد زيارة المسجد الأقصى والقدس. أما إذا كانت تلك الزيارة لا تنطوي على تطبيع مع العدو الإسرائيلي، كما إذا كان الزائر يحمل جواز سفرٍ إسرائيلي، أو هويةٍ إسرائيلية: كالفلسطيني الذي يقيم في المناطق المحتلة قبل عام(١٩٤٨)ولا يزال، والفلسطيني الذي يقيم في الخارج، ولكنه خرج للعمل في الخارج، وهو يحمل إذن خروجٍ ودخولٍ مسبقٍ؛ فيجوز لهم الذهاب لزيارة القدس والمسجد الأقصى والصلاة فيه] وهذا نظر سديد وفقهٌ حسن.

ثاني عشر: مئات آلاف الفلسطينيين ممنوعون من زيارة المسجد الأقصى المبارك ومن الصلاة فيه، بل كثيرٌ من أهل القدس ممنوعون من ذلك.ومنهم العلماء والدعاة.

ثالث عشر: آلاف الفلسطينيين يعيشون في القدس وأحيائها فهؤلاء أولى الناس بزيارة المسجد الأقصى المبارك والصلاة فيه بشكل يومي، ومع الأسف الشديد فإنك لا تجد في كثيرٍ من الصلوات الخمس إلا أعداداً قليلة من المصلين بمقدار صف أو صفين، بينما تجد كثيراً من هؤلاء يشدون الرحال لزيارة المناطق السياحية كطبرية وإيلات!!

وخلاصة الأمر أن زيارة المسجد الأقصى والقدس بتأشيرة إسرائيلية، نازلةٌ فقهيةٌ معاصرةٌ، تحتاج إلى تأصيلٍ فقهيٍ وفق ضوابط دراسة النوازل الفقهية عند العلماء، ولا يجوز لغير أهل الشرع أن يتحدثوا عن الحكم الشرعي فيها. وأما أن يتناولها السياسيون والكُتّاب والصحفيون وغيرهم من جوانب أخرى فذلك شأنهم. وإن تسييس الفتاوى من الأمور التي تخرجها عن جادة الصواب، فلا يجوز جعل الدين عامةً والفتوى خاصةً مطيةً لتحقيق أهدافٍ سياسيةٍ أو إرضاءً للحكام. وللمسجد الأقصى المبارك مكانة عظيمة عند أهل السنة والجماعة، ومع ذلك فإن زيارته سنةٌ مستحبةٌ وليست فريضة، والقول بتحريم زيارة المسجد الأقصى والقدس بتأشيرة إسرائيلية، مسألةٌ أثيرت منذ أكثر من أربعين سنة، وأفتى بذلك عددٌ من العلماء منهم بعض شيوخ الأزهر ومفتين مصريين سابقين وغيرهم. ودعوى أن عدداً من علماء الأمة الكبار قد زاروا المسجد الأقصى والقدس إبان الاحتلال الصليبي لها، دعوى باطلة، وما ساقه المؤيدون للزيارة من أدلةٍ لا تنهض لإثبات صحة الدعوى، والمعتمد الأساسي للمانعين من الزيارة هو النظر في مآلاتها وما يترتب عليها من التطبيع مع الاحتلال وأن المفاسد المترتبة عليها أكثر من المصالح، ومعلوم عند الفقهاء قاعدة: «درء المفاسد أولى من جلب المصالح» فإذا تعارضت مفسدةٌ مع مصلحةٍ قُدِّم دفعُ المفسدة غالباً. وأن الأنفع والأجدى هو توفير أوجه الدعم الأخرى لقضية الأقصى والقدس وفلسطين وتخليصها من الاحتلال.

والله الهادي إلى سواء السبيل





عبد المنعم أبو الفتوح... شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر (١٩٧٠-١٩٨٤)

أسامة شحادة(❖)

هذا الكتاب هو أحد ثمار الباحث المتميز حسام تمام – رحمه الله – والذي ركز على استكشاف وتدوين تجربة العمل الإسلامي المعاصر في عدة كتب، وذلك من خلال أبحاثه الخاصة أو قيامه بتسجيل شهادات شخصية لعدد من الشخصيات المركزية في العمل الإسلامي صدر منها: كتاب «رحلتي مع الأخوات المسلمات» لفاطمة عبد الهادي، إحدى أهم مؤسِّسات الفرع النسوي للإخوان المسلمين في زمن الأستاذ حسن البنا، ومنها كتاب «عبدالمنعم أبو الفتوح.. شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر ١٩٧٠- ١٩٨٤» والذي صدر عام ٢٠١٠ عن دار الشروق المصرية في ١٤٠ صفحة من القطع الكبير.

وتأتي أهمية هذه الشهادة من كونها سابقة على استقالة / إقالة د.أبو الفتوح من جماعة الإخوان المسلمين في شهر ٤/٢٠١١، ولذلك فليس في ما احتوته من آراء وأفكار ما يعد من قبيل الانتقام لتنكر الجماعة له.

ومن جهة أخرى تأتي أهمية هذه الشهادة لكونها شهادة شخصية تعكس أفكار أبو الفتوح المرشح الرئيسي للرئاسة المصرية، وهي شهادة كتبها قبل أن يترشح للرئاسة، ولذلك فهي تكشف عن حقيقة منهج وتفكير وسلوك جوانب متعددة من شخصية أبو الفتوح المرشح الرئاسي، والتي قد يكون فيها أشياء لن يصرح بها أبو الفتوح لو كان يتوقع ترشحه للرئاسة.

محطات من شهادته:

نشأته السلفية: أشار أبو الفتوح في عدة مواطن من سيرته إلى أن والده كان منتمياً لجماعة أنصار السنة المحمدية ويدفع اشتراكاً شهرياً لها، وأنه كان مواظباً على دروس الشيخ حامد الفقي مؤسس

(❖) كاتب أردني.

الجماعـة، وأن أبـو الفتـوح تربـى في مـساجد جماعـة أنـصار الـسنة والجمعيـة الـشرعية واسـتمع لدروسـهما السلفية، كما أنه تأثر بالكتب السلفية التي كانت توزع مجاناً، ولكنه فيما بعد تبين له أن هذه الكتب تحتوي علـى أفكـار متـشددة، وأن الوهابيـة أقحمـت على المشروع الإسلامي في مصر إقحاماً!!

ولذلك كان مظهره في الجامعة وسلوكه سلوكاً سلفياً إذ كـان كثيـف اللحيـة جداً ويرتـدي الجلابيـة أحياناً حتى في الجامعة، مما استدعى تنبيه د. صوفي أبو طالب، نائب رئيس الجامعة، له على تلك الهيئة.

التحول عن السلفية: يرى أبو الفتوح أن تحوله من السلفية لما يسميه الوسطية والاعتدال تم من خـلال احتكاكـه بـبعض الـدعاة المـشهورين مثـل الـشيخ محمد الغزالي والشيخ سيد سابق ود.البهي الخولي، وهـم مـن قـدماء الإخـوان المفـصولين مـن الجماعـة لكنهم بقوا مؤيدين لفكـر حسن البنا، بخـلاف من تـأثر بالمرحلـة القطبيـة الـتي طغـت فيهـا أفكـار سـيد قطب على الجماعة.

حيث يقول أبو الفتوح: «كنت أسمع دروس أنصار الـسنة وكلـها تـدور حـول قـضايا التوحيـد ومحاربـة البـدع كتقـديس الأوليـاء والتـبرك بالأضـرحة.. أمـا دروس الجمعيــة الــشرعية فتــدور حــول العبــادات والفرائض.. إلى أن استمعت إلى الشيخ الغزالي فتغير هذا كله إلى مشروع عام للأمة؛ مشروع بعث الأمة ونهضتها، مشروع بناء دولة ووطن..» (ص ٣٦).

من خـلال هـذا نجد أن الـدعوة السلفية كـان لها حضور بارز في المجتمع المصري، وأنها كانت الممهدة للعمـل الإسـلامي مـرة أخـرى في مـصر، فعلـى جهـود رشـيد رضـا ومحـب الـدين الخطيـب وحامـد الفقـي وغيرهم من علماء السلفيين، بنـى حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين، وبعد تسلط نظام عبد الناصر على الجماعـة بـسبب حسن ظنهم فيـه وسـوء موقفـه منهم ومـن الـدين والمتـدينين، ومـرة أخـرى شـكلت جهـود السلفيين في جماعـة أنـصار الـسنة والجمعيـة الـشرعية الأرضيـة الـتي قامـت عليهـا الجماعـة الإسـلامية في الجامعـات المـصرية، والـتي سـتجير للإخـوان بعـد خروجهم من السجن في عهد السادات.

وهنا يجب أن نقرر أن توقف السلفيين عند مرحلة التأسيس فقط والتي تتمثل بمحاربة مظاهر الخرافة والشرك والبدع ومقاومة الجهل ونشر العلم الشرعي، دون التقدم لخطوة إضافية لمن أنهى هذه المرحلة كان سـبباً في تفلت كـثير مـن شـبابهم لتيـارات أخـرى، وبالمقابـل كانـت جهـود جماعـة الإخـوان أو المنـشقين عـنهم مثـل الـشيخ الغزالـي بالـسير في الخطـوة الثانيـة وهي بناء مشروع إسلامي دون تأسيس عقدي صحيح أو تأصيل علمي وشرعي تولّد عنه ظهور من استعجل قطـف الثمـرة فجلـب المـصائب، وتولـد عنـه أيـضاً حصول نوع من الصدمة والانبهار عند البعض جعلته يبـدأ في التراجـع والتمييـع للحـصول علـى رضـى العلمانيين في الداخل والغربيين في الخارج.

العمـل الإسـلامي في الجامعـة: دخـل أبـو الفتـوح الجامعـة سـنة ١٩٧٠ وهـو العـام الـذي مـات فيـه عبـد الناصر وتولى السادات فيـه الحكـم، فبـدأ عهد من الانفتاح وتوسيع الحريات والإفراج عن معتقلي جماعة الإخوان في سجون عبد الناصر.

وطبعــاً كانــت الجامعــات واقعــة تحــت هيمنــة الاتجاهات الناصرية واليسارية، ولكـن رويداً رويداً بـدأ بعـض الطلبـة المتـدينون البـسطاء في كليـة الطـب بجامعـة القـاهرة بـالتمحور حـول أداء الـصلاة وقـراءة القـرآن، ووجـدت هـذه النـواة رعايـة متواضـعة مـن د. محمـد عبـد المـنعم أبـو الفـضل - وهـو أحـد قـدماء الإخـوان غـير المعـروفين للـسلطة- لكـن كـان لهـا تأثير بالغ على المجموعة.

ومن هنا بدأ عمل المجموعة يتوسع حتى شاركوا في انتخابـات اتحـاد كليـة الطـب سـنة ١٩٧٣ وفـازوا فيهـا، وقـد رافـق ذلـك الفـوز أن سياسـات الـسادات

كانت داعمة للعمل الإسلامي من خلال رفع الحظر عن العمل الإسلامي ورفع الدعم عن النشاط اليساري، فكانت النتيجة فوز العمل الإسلامي البسيط والجديد على العمل اليساري المتجذر والمنظم.

وانتقل هذا النشاط ليصل كل جامعات مصر وظهر هذا النشاط الطلابي باسم الجماعة الإسلامية، وكان يغلب عليه كما يقول أبو الفتوح الطابع السلفي في الالتزام والفهم والسلوك.

ومما تتميز به هذه الشهادة تسليط الضوء على تجربة الجماعة الإسلامية في الجامعات المصرية، ولذلك نجد فيها الحديث عنها من زاوية شخصية، لكن إذا قارنّا هذه الشهادة بكتاب «الجماعة الإسلامية في جامعات مصر حقائق ووثائق» لبدر محمد بدر، زميل أبو الفتوح في الجامعة وجماعة الإخوان لاحقاً، وكذلك مقارنتها برؤية سلفية لنفس التجربة في كتاب «حديث الذكريات» للدكتور أحمد فريد أحد قيادات الدعوة السلفية بالإسكندرية، سنجد معلومات أخرى تكمل الصورة أهمها أنه نشأت عدة مجموعات طلابية في نفس الوقت بدون تنسيق وعلم في عدد من الكليات والجامعات، ونجد أيضاً إثبات بدر محمد الدور البارز لطلبة جامعة الإسكندرية في دعم وتقوية النشاط الطلابي الإسلامي وبلورة المفاهيم الصحيحة، ومعلوم أن جامعة الإسكندرية كانت مركز ثقل العمل الطلابي السلفي الذي سيعرف لاحقاً - عند تفرق الجماعة بسبب انضمام مجموعة أبو الفتوح للإخوان – بالدعوة السلفية بالإسكندرية التي خرج منها الآن حزب النور.

الانضمام لجماعة الإخوان: يشير أبو الفتوح إلى أنه بحكم دراسته للطب أتيح له مقابلة قادة الإخوان الذين سمح لهم السادات بالعلاج في المستشفيات خارج السجن قبل الإفراج عنهم، ومع احتكاكه من قبل بالدكتور محمد أبو الفضل، تبددت معظم الصورة الذهنية السلبية عن جماعة الإخوان والتي بثها عبد الناصر ونظامه في المجتمع المصري.

ومن خلال هذه الصلة كان الإخوان في السجون يعلمون بوجود عمل طلابي إسلامي بالجامعات، ولذلك عقب خروجهم مباشرة اتصلوا بهذا النشاط، وكان الأستاذ كمال السنانيري هو المكلف بذلك من الإخوان مع أبو الفتوح.

ولعل من أهم التفاصيل التي يؤكد عليها أبو الفتوح في هذه القضية أن قادة الإخوان كانوا حريصين على استيعاب هذا النشاط وضمّه إليهم، ولذلك جارى قادة الإخوان هؤلاء الشباب السلفي المتحمس في تكوينه العام بإطلاق لحاهم!! (ص ٧٩)

يقول أبو الفتوح عنه وعن زملائه «حين بايعنا الإخوان لم نبايع تنظيماً قائماً في الواقع، وإنما بايعنا فكرة ومشروعاً وتاريخاً... إذ لم يكن هناك تنظيم إخواني بالمعنى الذي تعنيه كلمة تنظيم» (ص٩١)، ومن أجل هذا اعتبر بعض الباحثين أبو الفتوح المؤسس الثاني للجماعة بعد حسن البنا، لأنه ضم للإخوان تنظيماً شبابياً جاهزاً، ولم يكن على الإخوان إلا قيادته!!

ويقول أبو الفتوح إن تعرفهم بالبداية على الإخوان كان من خلال شخصيات النظام الخاص بالإخوان قبل التعرف على الشخصيات الإخوانية المعتدلة مثل عمر التلمساني، وأن هذا ساعد على تقبله لجماعة الإخوان بحكم تكوينه السلفي، لكنه سرعان ما سيبتعد عن الجناح القطبي في الجماعة ويندمج مع خط المرشد عمر التلمساني والذي لا يرضى بأفكار النظام الخاص، وسيعجب أبو الفتوح بالتساهل الذي يؤيده التلمساني في قضايا الغناء والتمثيل وهكذا، وهو ما سيكون منهج أبو الفتوح القادم.

لكن اللافت للنظر أن أبو الفتوح قرر ضم الجماعة الإسلامية للإخوان دون مشاورة كل زملائه في قيادة الجماعة، بل جعل ذلك قراراً سرياً بينه وبين

بعض زملائه دون البقية، خاصة الذين كانت له هوية سلفية معلنة مثل محمد إسماعيل المقدم وأسامة عبد العظيم وأحمد فريد أو مَن غلبت عليهم الروح الجهادية مثل كرم زهدي وناجح إبراهيم، حيث كان الاتفاق مع الإخوان أن تنضم الجماعة الإسلامية سراً للإخوان دون إعلان، ويبقى الاتصال على مستوى القيادات، ولذلك شهدت الجماعة في هذه الفترة تزايد انتشار الأدبيات الإخوانية بين أفرادها، كما زادت محاضرات رموز الإخوان وقياداتهم دون إعلان صفتهم القيادية للجماعة الإسلامية، وهذا السلوك الأشبه بالصفقات من تحت الطاولة يعدّ من أخطاء العمل الإسلامي والتي – وللأسف منتشرة بكثرة- فيجب على الإخوان وأبو الفتوح الإقلاع عنه لكونه سلوكاً غير مقبول أصلاً، ولكونه يؤسس لمنهج منحرف في العمل السياسي الإسلامي اليوم.

تحولات الإخوان: من القضايا المهمة في شهادة أبو الفتوح هي تحولات جماعة الإخوان، حيث يبين أبو الفتوح أن جماعة الإخوان بعد إفراج السادات عن أفرادها بقيت طيلة السبعينات تضم تياري: النظام الخاص القريب من فكر سيد قطب وهو تيار طارئ على الإخوان، وتياراً آخر أقرب لفكر حسن البنا ويمثله المرشد التلمساني، وهو التيار الذي يمثله أبو الفتوح في الجماعة، والذي قد يكون هو سبب الخلاف الحقيقي بين أبو الفتوح والجماعة الآن، إذ أن الجماعة في تاريخها الطويل لم تنتقد أي موقف أو تصريحات لأبو الفتوح مهما أثارت جدلاً إلا في نقده لسيد قطب في بيت نجيب محفوظ!!

وجاء الصدام مع السادات بسبب معاهدة كامب ديفيد ليُدخل الجماعة السجون من جديد، مما تطلب إعادة بناء الجماعة في مصر من جديد بعد الخروج من السجن سنة ١٩٨٢، في الوقت الذي كان بعض قادة الإخوان وخاصة مصطفى مشهور ومهدي عاكف وخيرت الشاطر الذين غادروا مصر قبل الاعتقالات يباشرون بناء التنظيم العالمي للإخوان.

ويقول أبو الفتوح إن الإخوان كانوا يرفضون التكفير دوماً، ويدلل على ذلك بكتاب «دعاة لا قضاة» للمرشد حسن الهضيبي، لكنّ نبذ العنف لم يحسم في الإخوان إلا في سنة ١٩٨٤ حين قررت الجماعة المشاركة في انتخابات البرلمان بالتحالف مع حزب الوفد والمشاركة في العمل العام.

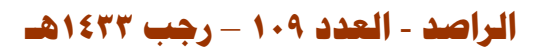
وأما نبذ الجماعة للعمل السري فكان في سنة ١٩٨٧ بعد إصدار الجماعة لوثيقة «جماعة الإخوان جماعة علنية» من قبل مكتب الإرشاد.

لكنه يرى أن الجماعة لم تستقر فكرياً وتنظيمياً إلا في سنة ١٩٨٩ بعد إجراء أول انتخابات لاختيار مسئولي الجماعة.

أما تأسيس منهج للتعامل مع القضايا التي يختلط بها الشرعي بالسياسي، فلم تتبلور فيها العلاقة إلا في سنة ١٩٩٤ حيث تم دعوة عدد من العلماء لحضور مناقشات القسم السياسي بالجماعة بخصوص وثيقة موقف الجماعة من الشورى والتعددية الحزبية وعمل المرأة في السياسة.

خاتمة: هذه هي أهم المحاور التي عرضها أبو الفتوح في شهادته، وشملت جوانب من نشأته ومنهجه ورؤيته من الداخل لفكر وتطور جماعة الإخوان لأكبر التنظيمات الإسلامية العاملة في الساحة، وأعتقد أنها مهمة من حيث شخصية كاتبها وموقعه في العمل الإسلامي أو ترشحه لمنصب رئاسة مصر، ورغم أن هذه الشهادة منشورة منذ عامين إلا أن الجماعة أو أحد قياداتها لم يعترض عليها فيما أعلم.





وقاحة فادحة

قالوا: فاجأ رئيس منظمة (إيرا) - المدافعة عن عرق (الحراطين) وهم الأرقاء السابقون في المجتمع الموريتاني - الرأي العام الموريتاني بإشرافه مباشرة الجمعة الماضية على حرق مجموعة من أمهات كتب الفقه المالكي.

لجينيات ٢٠١٢/٤/٢٩

أنف إيران في أفغانستان

قالوا: وجّه نواب في البرلمان الأفغاني تحذيرًا من أنه يجب على الحكومة الإيرانية وضع حد لتدخلاتها في الشئون الداخلية في أفغانستان، لاسيما فيما يتعلق بمعاهدة الشراكة الإستراتيجية التي وقّعها الرئيس الأفغاني حامد كرزاي الأسبوع الماضي مع نظيره الأمريكي باراك أوباما.

وكان سفير إيران في كابول عبد الحافظ زهرود قد حثّ بعض أعضاء مجلس الشورى الأفغاني على عدم التصويت لمصلحة المعاهدة.

البينة ٢٠١٢/٥/٨

هكذا أصبح مفتيا للسنة!!

قالوا: في اتصال هاتفي أشاد فيه بالدور الوطني المشرّف لسماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد القائد مقتدى الصدر (دام عزه) في وحدة العراق وشعبه... وتثمينه لمواقف سماحة السيد القائد مقتدى الصدر (دام عزه) في وأد الفتن والمواقف المشرفة في مقاومة قوات الاحتلال.

مفتي الديار العراقية الشيخ الدكتور رافع طه الرفاعي العاني

موقع د. مها عادل مهدي الدوري، النائبة عن التيار الصدري ٢٠١٢/٤/٢٢

من خبث الشيعة

قالوا: في فاكسه الأخير اعتبر وكيل المراجع الشيعية في الكويت السيد محمد المهري أن المطالبة بتعيين أو انتخاب رئيس وزراء شعبي تعني الانقلاب على الحكم وأسرة آل صباح.. صباح الجمعة كتب النائب العزيز صالح عاشور أن اختيار رئيس وزراء شعبي لا يعني إلغاء حكم آل صباح، لأن الأمير هو الذي يختار ويعرض على مجلس الأمة للموافقة.. وسؤالي للنائب صالح عاشور: هل السيد المهري أرسل فاكسه بلا دراسة أو بلا أدنى معرفة في الموضوع؟! وسؤالي لوكيل المراجع السيد المهري: هل النائب صالح عاشور الذي طالب برئيس وزراء شعبي، يعتبر ممن طالبوا بالانقلاب على أسرة آل الصباح، حسب فاكسكم المبارك؟!

أحمد محمد الفهد-

الوطن الكويتية ٢٠١٢/٤/٢٢

ويحدثونك عن دولة المواطنة والقانون!!

قـــالوا: لـــن تقبـــل الكنيســـة أن تفـــرض أي سـلطة فـي الدولـة رقابـة ماليـة علـى أنـشطتها؛ فالكنيسـة ليست جهـة حكوميـة لتـتم مراقبتهـا ، وإنمـا تعتمـد علـى تبرعـات أعـضائها فقـط لتمـول نفسـها ذاتيـاً ، فـلا توجـد وزارة أوقـاف قبطيـة. فيمـا شـدد القمـص صـليب متـى سـاويرس، كـاهن كنيسـة الجيوشـي بـشبرا ، علـى أن الـرئيس المقبـل نفسـه لا يـستطيع أن يفـرض رقابـة ماليـة علـى الكنيسـة؛ لأنهـا مؤسسـة روحيـة وليست جهة حكومية.

القمص عبد المسيح بسيط، كاهن كنيسة العذراء بمسطرد

المصريون ٢٠١٢/٥/١٥

التبعية وإلا فالقبر

قــالوا: النظــام الـسوري يحتجـز ومنـذ بـضعة أيــام، ممثــل حركـــة حمـــاس في مدينـــة اللاذقيـة الـشيخ محمـد أبـو توهـة، بحجـة (التـستر) علـــى مطلــوبين معارضـــين للنظـــام. وحركـــة حمـاس، تحـاول جاهـدة الإفـراج عـن أبـو توهـة مـن خـلال اتـصالات مباشـرة مـع الأجهـزة الأمنيـة السورية.

موقع البوصلة ٢٠١٢/٥/١٥

شيعة لبنان الظالمون!!

قالوا: لماذا تم اغتيال الشيخ الشهيد أحمد عبد الواحد في منطقة عكار وعلى يد جهاز أمني رسمي يفترض أنه موجود لحماية المواطنين والسلم الأهلي، وكيف يملك ضابط وعناصر الحاجز من الجرأة ما يسمح لهم باتخاذ قرار إطلاق النار بشكل مباشر وبهدف القتل مهما كانت الأسباب والمسببات والظروف..؟ سؤال برسم فخامة الرئيس ورئيس الحكومة والمؤسسة العسكرية...؟ لأنه وفي أماكن أخرى من لبنان (ولنتكلم بصراحة لماذا المراوغة)، حيث يتواجد جمهور حزب اللّه وحركة أمل يعجز الجيش حتى عن مصادرة بندقية أو منع مخالفة بناء، فهل السلطة قوية على فريق وضعيفة أمام آخر..؟؟

حسان قطب - المركز اللبناني للأبحاث والاستشارات ٢٠١٢/٥/٢١

ويقولون لماذا لا يمثل طارق الهاشمي أمام القضاء العراقي!!

قــالوا: قــررت المحكمــة الجنائيــة المركزيــة العراقيـة، أمـس، إطـلاق سـراح الناشـط في حـزب اللّه اللبنـاني علـي دقـدوق المـشتبه بتورطـه في قتـل جنـود أميركـيين في ينـاير (كـانون الثـاني) ٢٠٠٧ في العـراق، حـسبما أعلـن محـامي المـتهم لعـدم توفر أي دليل لإدانته.

وكـان دقـدوق الـذي تؤكـد الولايـات المتحـدة أنـه وصـل إلى العـراق لتـدريب متمـردين بمـساعدة فيلـق القـدس، آخـر سـجين لـدى القـوات الأميركيـة وسـلمته إلى العـراقيين مـع انتهـاء الانـسحاب مـن هـذا البلـد، أواخـر العـام الماضـي. (محاكمـة علـي موسـى دقـدوق بـدأت يـوم محاكمـة نائـب الـرئيس العراقـي طـارق الهـاشمي وعدد من أفراد حمايته).

الشرق الأوسط ٢٠١٢/٥/٨

غضب في محله

قالوا: الدكتور أحمد الطيب غاضب من مراجع الشيعة، بسبب تجاهل مطلبه الذي أرسله أكثر من مرة، بخصوص إصدارهم فتوى تحرم سب الصحابة وأمهات المؤمنين رضي اللّه تعالى عنهم.

شيخ الأزهر اعتبر عدم الرد على طلبه اعترافًا ضمنيًّا بأن سب الصحابة ضمن معتقد الشيعة، وأنهم لن يعدلوا عنه.

مفكرة الإسلام ٢٠١٢/٥/١٩

"تحديات" مرجعية الشاهرودي في النجف

فاخر السلطان - الوطن الكويتية ٢٠١٢/٥/١٥

لن تخطو إيران الخطوة السياسية فحسب للاتحاد مع العراق (يقول المراقبون بأنها تأتي ردا على المبادرة الخليجية - السعودية - لتفعيل فكرة الاتحاد) بل تسعى إلى ان تكون مستعدة لتلك الخطوة من جوانب عدة، أبرزها أن تقوم بخلق واقع سياسي ديني في العراق ينطلق من النظام الأساسي الإيراني القائم على نظرية «ولاية الفقيه السياسية» والتي تسمى بالولاية العامة.أي القيام بتثبيت حجر الأساس الديني السياسي، ليُصار بعد ذلك الدعوة إلى الاتحاد، الذي سيستند إلى المنهجية الدين/سياسية.من هنا جاءت فكرة وجود مرجعية دينية إيرانية في النجف مؤمنة بـ «ولاية الفقيه السياسية» متمثلة في شخص رئيس السلطة القضائية السابق في إيران آية الله محمود الشاهرودي.

ومعروف عن النجف أنها احتضنت أبرز المراجع الشيعية على مر التاريخ الحديث، من هؤلاء المرجع الراهن آية الله علي السيستاني، وقبله المرجع ابوالقاسم الخوئي والمرجع حسين بروجردي والمرجع محسن الحكيم والمرجع ابوالحسن الأصفهاني.وتوجد في النجف الحوزة العلمية الأبرز عند الشيعة، التي تخرّج منها رجال دين بارزون لعبوا دورا دينيا واجتماعيا وسياسيا مميزا، منهم المرجع اللبناني محمد حسين فضل الله.ويتسم منهج الحوزة في النجف برفض العمل بالولاية العامة والدفع بالولاية الخاصة، وقد ربطت العمل بالولاية العامة بظهور الإمام المهدي، الإمام الثاني عشر عند الشيعة، واعتبرت نظرية «ولاية الفقيه السياسية» بدعة في الدين.

ومن خلال مرجعية الشاهرودي في النجف - والتي يتوقع المراقبون ان يتم الإعلان عنها بعد وفاة السيستاني، ويقال بأنه سيكون مرجعا لأنصار حزب الدعوة الذي ينتمي إليه رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي - سيشتد التنافس في تلك المدينة المقدسة بين منهجين شيعيين، أو بين حوزتين علميتين دينيتين تمثلان مدرستين مختلفتين في رؤيتهما لمسألة الولاية، الأمر الذي من شأنه ان يخلق صراعا لن يكون على النفوذ الديني وعلى استقلالية المرجعية والقرار المرجعي فحسب، بل ستمتد صوره لتشمل جوانب سياسية واجتماعية ومالية مختلفة، وبخاصة تلك المتعلقة بقضايا ومسائل الحكومة الدينية، وبتدخّل المرجع الديني والحوزة العلمية في القرار السياسي العراقي، وبهيمنة دولة ولاية الفقيه (إيران) على قرار الحوزة وسيطرة مصالحها على مختلف صور الصراع السياسي والديني.وقد رأت صحيفة «نيويورك تايمز» ان الإعلان عن مرجعية الشاهرودي في النجف بعد وفاة السيستاني من شأنه ان يعزز نفوذ إيران على الشعب العراقي وعلى الشيعة في كل مكان، واعتبرت ان الهدف الإيراني طويل المدى من ذلك يرمي إلى نقل الثورة الإسلامية إلى العراق.وتعليقا على المخاوف من وصول شاهرودي إلى منصب المرجعية، قال مدير مكتب السيستاني في النجف للصحيفة ان النظام الإيراني لن ينجح في هذا المسعى لأن «الدستور هو الذي يحكم هنا، والعراقيون صوتوا لصالحه».

وبالنسبة لواشنطن، كما تقول «نيويورك تايمز»، فإن السيستاني يعتبر «صوت الاعتدال وضبط النفس خلال سنوات المذابح الطائفية عندما كان العراق على حافة

السقوط في أتون الحرب الأهلية»، وقد «تدخل في اللحظات الحاسمة خلال فترة الاحتلال الأمريكي، كان من بينها الحدث الأبرز عندما دعا مئات الآلاف من أنصاره في عام ٢٠٠٤ إلى النزول إلى الشوارع للمطالبة بإجراء انتخابات مباشرة على الرغم من اعتراض السلطات الأمريكية». لكن في المقابل، فإن وجود الشاهرودي في النجف بعد رحيل السيستاني من شأنه ان يخلق واقعا جديدا على مختلف الأصعدة، وبالذات على الصعيد السياسي، اذ سيتجه القرار المرجعي صوب المسائل السياسية المتبناة في إطار «ولاية الفقيه السياسية» والتي تصب نتائجها بالتأكيد في صالح الجمهورية الإسلامية في إيران، وستصبح المصلحة العراقية معجونة بالمصلحة الإيرانية تحت شعار «مصلحة الأمة الإسلامية»، وسيغدو «الاستكبار العالمي» ممثلا بالولايات المتحدة واسرائيل هما عدو العراق الأول انطلاقا من الرؤية الإيرانية على الرغم من الدور الذي لعبته أمريكا في تحرير العراق، وسيصبح «رجل إيران في العراق» هو ذاك السياسي الذي سيحكم البلد بغض النظر عن الجوانب المختلفة الدينية والمذهبية والعرقية والسياسية والعشائرية المساهمة في تكوين شخصية هذا الرجل.

فخطوة الإعلان عن مرجعية الشاهرودي وانتقاله إلى النجف، تصب في صالح الرؤية الإيرانية تجاه العراق في ظل تباين المشاكل العراقية وتعقيداتها.وهي خطوة من شأنها ان تجعل واشنطن تعيد النظر في علاقتها بحوزة النجف الدينية «غير السياسية» في إطار الفرز ما بين حوزة تنظّر للإسلام السياسي انطلاقا من علاقة واضحة مع دولة «ولاية الفقيه»، وبين أخرى ترفض أي علاقة منهجية علمية بين الدين والسياسة.

وعلى الرغم من مسعى الولايات المتحدة لتطوير علاقاتها مع حوزة النجف بعد إسقاط النظام العراقي السابق، بهدف دعم الاتجاه الديني غير السياسي والتضييق على المدرسة الدينية السياسية كجزء من استراتيجية شاملة في المنطقة، إلا ان واشنطن خففّت من وطأة تلك الاستراتيجية في ظل تطورات الأحداث على الأرض في العراق، ثم التطورات التي لحقت الدول العربية بعد فورة الربيع العربي والتي كان للتيار الديني السياسي حصة الأسد من ثمارها المقطوفة.فوجّهت واشنطن خطواتها السياسية في العراق وفي دول الربيع العربي انطلاقا من اللاعبين الرئيسيين فيها والذين كانوا في غالبيتهم ينتمون إلى التيار الديني السياسي، لكنها سعت إلى قطع حبل العلاقة بين تلك التيارات وبين إيران، وكانت موفقة إلى حد كبير في هذا المسعى.لذلك، سعت إيران في المقابل إلى تقوية وجودها السياسي في مناطق الصراع تلك، بدءا من العراق، مرورا بدول الربيع العربي، انتهاء بمرجعية الشاهرودي في النجف.والسؤال الذي قد يطرح هنا هو: ما هي طبيعة المواجهة المتوقعة بين أمريكا وبين إيران في ظل صراع المدارس الدينية الساعية إلى الهيمنة على القرار السياسي والديني في النجف؟ فالمشروع الأمريكي للتغيير في المنطقة يسير في إطار «لبرلة» التيار الديني السياسي، ويتناغم مع فكر الحوزة الدينية التقليدية «غير السياسية» في النجف، فيما تسعى طهران إلى دعم مشروعها المرجعي في النجف في ظل مشروع سياسي ديني متكامل للمنطقة يصب في إطار مصالح متناغمة مع عنوان «ولاية الفقيه».ومن شأن حوزة النجف «غير السياسية» ان تدعم الخطوات الأمريكية لا الخطوات الإيرانية، لأن ذلك قد يعرقل خطوات تثبيت المرجعية الدينية السياسية في النجف، ويساهم في اضعاف موقع منافسها الفكري الذي يستمد قوته لا فقط من طهران، بل من مدينة قم أيضا.

نعيم قاسم يهدد مقلدي فضل الله ومؤسساته: من كان يحميكم مات

مجلة الشراع - عدد ١١٨

لا أحد في حزب الله يحب سماع اسم الشيخ ياسر عودة. وللدقة أكثر فإن لا أحد في الجسم القيادي للحزب يحب هذا الرجل.

لماذا؟

السبب ببساطة يعود إلى انه واحد من الأمناء المخلصين للفكر الرحب والمجدد للمرجع الإسلامي الشيعي الراحل السيد محمد حسين فضل الله.

جريمة الشيخ ياسر عودة في نظر حزب الله انه يناقش، يحاور ويستفيض في شرح وتفسير وترويج أفكار السيد

محمد حسين فضل الله. يدافع عن آرائه ورؤاه واجتهاداته، وينتقد بالمنطق والسند الفقهي المتطاولين عليه في مماته كما في حياته، ويقدم الحجة لكل فكرة تميز بها المرجع الإسلامي الشيعي الراحل وحولته بين أقرانه رائداً من رواد الدعوة إلى الوحدة الإسلامية ونبذ البدع والخرافات، وتغليب منطق الاعتدال والعقلانية بعيداً عن التطرف والتقوقع والتكفير والعصبيات العمياء ورفض الرأي الآخر.

إطلالات الشيخ ياسر عودة على شاشة تلفزيون «الإيمان» وصوته على أثير إذاعة «البشائر» وهما وسيلتان إعلاميتان مرئية ومسموعة كان السيد محمد حسين فضل الله أنشأهما قبل سنوات من رحيله لنشر مواقفه وآرائه ومحاضراته.. تحولت هذه الإطلالات للشيخ عودة بالنسبة إلى أوساط فاعلة ونافذة في حزب الله إلى مصدر قلق وإزعاج وشكوى، خاصة مع كثافة المشاهدين والمستمعين الذين يتابعون الوسيلتين المذكورتين ويبحثون من خلالهما وخاصة في برنامجي عودة عن أجوبة لم يسبق لهم ان وجدوا مثلها شافية عندما طرحوا أسئلتهم وتتصل بكل مناحي الحياة والدين والدنيا والآخرة على المنابر المماثلة المفتوحة من قبل حزب الله أو الجهات الدينية المحسوبة عليه، إضافة إلى الجهات المحسوبة على الولي الفقيه في إيران.

الولاية التكوينية والتربة الحسينية

أكثر ما أثار السخط والغضب لدى هؤلاء من إطلالات عودة هو تناوله قضية «الولاية التكوينية» بإسهاب كان السيد محمد حسين فضل الله تناوله ودقق به بأسلوبه الفقهي – العلمي والمجدد، إضافة إلى مواضيع أخرى كان أكثرها إثارة للجدل موضوع «التربة الحسينية» التي تستخدم في صلاة المسلمين الشيعة، والتي قال عنها عودة بعد فضل الله أنها ليست من أرض الأئمة بل هي صناعة الصين ومستوردة منها، مسبباً عواصف هوجاء من الانتقادات ضده حتى قيل إن القيامة قامت عليه ولم تقعد بعد حتى الآن.

عودة لم يكن بالطبع يتقصد استفزاز أحد أو تشويه نظرية معينة أو سلوك وأداء ما، وجلّ ما كان يفعله وما يزال هو الاستمرار في شرح أفكار السيد محمد حسين فضل الله وآرائه، وهو ما كان يفعله منذ سنوات وقبل وفاة المرجع فضل الله، وعلى الأرجح فإنه لم يكن يعرف وهو يفعل ذلك انه سيتحول إلى مرمى للسهام وانه سيستخدم أيضاً ذريعة من أجل استهداف إرث الراحل الكبير ومؤسساته المنتشرة والمستمرة، وفي مقدمتها مؤسسات رعاية الأيتام وكفالتهم..

لكن قبل الغوص في الحديث عن أهداف الحملة على عودة وهي لا تقتصر عليه وتقف عنده بقدر ما هي نقطة انطلاق لما هو أدهى وأخطر، لا بد من الوقوف عند ما فعله الحزب وعلى أعلى المستويات من أجل إسكات الشيخ ياسر عودة والضغط على مؤسسات المرجع فضل الله بذريعته من أجل محاصرتها واستهدافها.

فبتكليف من أمين عام حزب الله السيد حسن نصرالله قصد نائبه الشيخ نعيم قاسم السيد علي فضل الله وهو النجل الأكبر للمرجع الراحل والمؤتمن من قبل العائلة على إدارة المؤسسات التابعة للمرجعية، وطلب منه باسم نصرالله وبشكل واضح ومحدد وقف برنامجي الشيخ ياسر عودة في تلفزيون (الإيمان) وإذاعة (البشائر).

لم تتوافر تفاصيل كثيرة عن هذا اللقاء الذي لم يكن (هادئاً) ورفض فيه فضل الله الإذعان لطلب نصرالله عبر قاسم، إلا انه علم ان ثنايا الكلام خلال هذا اللقاء حملت إشارات إلى أن أمين عام حزب الله يتعرض لضغوط في موضوع عودة من قبل عدد من المشايخ بينهم الشيخ حسين كوراني والسيد جعفر مرتضى وهما معروفان بعدائهما الشديد للسيد محمد حسين فضل الله وكانا وراء الحملة الشعواء والشرسة التي شنت ضده ووصلت إلى حد تكفيره وخاصة من قبل الأخير الذي وضع عشرات الكتب والمؤلفات ضد المرجع الراحل، بينها كتاب (مأساة الزهراء).

وبدا واضحاً من كلام نصرالله الذي نقله قاسم والذي ورد فيه ما معناه انه لا يستطيع أن يكبح جماح كوراني ومرتضى عن الهجوم على السيد محمد حسين فضل الله إذا استمر عودة في برنامجيه، وان هناك مصلحة في طي هذا الموضوع من أجل عدم إثارة التباينات داخل البيت الشيعي الواحد.. بدا واضحاً من هذا الكلام ان هناك تهديداً واضحاً وصريحاً باستهداف المرجع محمد حسين فضل الله من جديد وبإطلاق العنان للحملة ضده والتي لم تقف عند حد قبل وفاته.

نجاد يكرم مرتضى

اللافت ان حزب الله الذي كان يعلن عدم مسؤوليته قبل سنوات عن الحملات ضد فضل الله، وكذلك إيران، يقوم اليوم بالتمهيد لمعاودتها، في وقت يستقبل فيه الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد السيد جعفر مرتضى، ويقوم بتكريمه وعلى مرأى الناس، تقديراً لما بذله في عالم التأليف وهو منحصر أو شبه منحصر في استهداف السيد محمد حسين فضل الله.

ولم تقف حدود التهديدات عند ما ورد في لقاء قاسم وفضل الله الابن الذي رفض وبشكل قاطع كما ورد آنفاً الاستجابة لضغوط حزب الله. بل تعدت ذلك عندما قصد وفد من مؤسسات فضل الله الشيخ نعيم قاسم، في محاولة لضمان عدم انفجار الموقف، ووقف التصعيد وحصر الموضوع في حدود الخلاف الذي يمكن أن يحصل في عالم الفقهاء والمجتهدين والعلماء، أي بين رأي ورأي آخر، بصرف النظر عن وجاهة أو صوابية هذا الرأي أو ذاك. ووفق القاعدة المعروفة: (للمجتهد أجران إذا أصاب وأجر إذا أخطأ). إلا ان الوفد فوجئ بإصرار نعيم قاسم على موقفه مغلفاً بنقد قاس لعودة ولأداء ومواقف ومنهجية عمل مؤسسات فضل الله بعد رحيله، وذهب إلى أبعد من ذلك مهدداً بالقول: (ومن يضمن إذا استمر عودة بما هو عليه ان لا يقوم عدد من الشباب المستاء منه ومما يروج له بالتصدي له والنيل منه).

أما الأخطر في كلام نعيم قاسم فكان قوله للوفد وبشكل حاد: (اللي كان مغطيكم - أي يحميكم ويقصد السيد محمد حسين فضل الله- راح) (أي مات).

وفي الاجتماعين اللذين عقدهما قاسم، كان كلامه التهديدي مباشراً ومستفزاً وصريحاً (بنبش الماضي) ومعاودة الحملات على السيد محمد حسين فضل الله، والسؤال الذي يطرح نفسه كيف لحزب قوي وبالغ القوة حتى لا نقول أكثر يخشى من برنامج ثقافي يطرح أفكاراً تحتمل مثلها مثل كل الأفكار آراء عديدة وحتى مختلفة. وإذا كان من رفض لهذه الأفكار لماذا لا يتم نقاشها بأساليب وطرائق النقاش والحوار. ولماذا لم تجر أصلاً مناقشة السيد محمد حسين فضل الله بها عندما كان ما يزال على قيد الحياة جاهزاً بالكلمة والفكرة والآية الكريمة والحديث الشريف الموثق للدفاع عن اجتهاداته ودحض ما قد يقابلها من نقاشات وحتى اجتهادات، إلا انه يتبادر إلى الذهن فوراً القول بأن قاسم ومن خلفه بعض من في حزبه يخشون عقل المرجع الراحل وفكره ويحاربونه وهو في ضريحه مثلما كانوا يخشونه ويحاربونه عندما كان حياً يرزق. وأين هم اليوم من سيرته التي طالما وقف خلالها سنداً لهم بدءاً مما عرف عنه في مطلع الثمانينيات بأنه المرشد الروحي للحالة الإسلامية ومن ثم حزب الله، إضافة إلى مواقفه الحازمة في دعم المقاومة واحتضانها والدفاع عنها، وآخرها موقفه المدوي في حرب تموز/يوليو ٢٠٠٦.

تهديدات مجلة (شعائر)

ولم يقف الأمر عند التهديدات المباشرة على لسان قاسم، فقد واكبها مقال للشيخ حسين كوراني في مجلة (شعائر) في عددها الأخير وصف فيه فضل الله وأتباعه ومؤيديه من دون أن يسميهم بـ(الوهابيين الجدد) وإلى جانب المقال عمود ينبغي أن يتحول إلى إخبار للنيابة العامة من أجل التحرك، خاصة إذا حدث مكروه لا سمح الله بحق عودة أو أي أحد من مقلدي المرجع الراحل والسائرين بنهجه، وقد جاء التهديد واضحاً بعد الحديث عن انه رغم أن لفضل الله فضل على المقاومة، فإن (أسلوبنا سيختلف) إذا أكملتم بما بدأتم به.. الخ وهو ما يعني ليس فقط التلويح بالمضي بما كان بدأه السيد جعفر مرتضى في محاولة تشويه فكر فضل الله بل وأيضاً بما هو أبعد من ذلك.

وجاء في التهديد ضمن عمود ملحق بمقال الشيخ حسين كوراني و (ان لم يسكتوا، فإن الواجب يقضي بمعاودة الكرة مجدداً وبطريقة مختلفة هذه المرة) في إشارة هنا إلى الحملة التي كان بدأها السيد جعفر مرتضى ضد السيد محمد حسين فضل الله.

أضاف المقال (انه سيصار إلى اعتماد منهجية التحليل العلمي للمنطلقات الفكرية للرمز الذي يظن هؤلاء انهم يمثلون استمراراً لموقعه الإصلاحي التجددي الكبير، مع ذكر الشواهد الكثيرة بالتفصيل وإضافة الحوارات الخاصة في مجالات عديدة وطيلة فترة مديدة مع من لا ننكر دوره الريادي في دعم المقاومة الإسلامية أعزها الله

تعالى، ولا ننكر أن له الفضل على أجيال الإسلام الحركي في لبنان، إلا أن الأمر وصل إلى ما لم نكن نحبه من دوران الأمر بين أهل البيت وبينه). ليخلص كاتب العمود إلى القول: (ما تقدم بمثابة تحذير لبعض المبتدئين بحملة جديدة تضر ولا تنفع وقد تدخل الساحة في دوامة شبيهة بسابقتها، مع اليقين بأن النتيجة هذه المرة مختلفة جذرياً).

حرب الكترونية

وقد ترافق ذلك مع حرب ضروس شهدتها المواقع الالكترونية (الفيسبوك – وتويتر)، بدأت بسجالات واسعة بين أنصار الطرفين، وبرز فيها الحجم الكبير للمجموعات الملتزمة بفكر فضل الله ونهجه وردودها العاقلة والرزينة واحترام الرأي الآخر بعيداً عن لغة الشتائم والسباب والتشهير، في إشارة إلى ان الحملات ضد فضل الله أججت عقول ومشاعر ونفوس المشاركين في هذه المجموعات وجلهم من الشباب، فاندفعوا من دون تردد وبحماس لافت للدفاع عن مرجع أفنى عمره في طلب العلم والعمل لتجديد الفكر الإسلامي ومواكبة العصر وبناء المؤسسات، مؤسسات الخير وكفالة الايتام والعجزة واحتضان الطاقات الشابة وامدادها بكل ما يلزم من تعليم وتخصص لتوفر لنفسها فرص عمل كريم وخدمة المجتمع والوطن..

وكان من شأن هذه الحرب الضروس وكثافة المجموعات المدافعة عن المرجع الراحل وفكره ورؤاه، تدمير موقع (بينات) الناطق باسم المرجع السيد محمد حسين فضل الله، وهو ما يشير بوضوح إلى ان الجهة الفاعلة معروفة من جهة ومتضررة بشكل كبير من نتائج حرب بدأتها ولم تكن تتوقع أن تلقى هذا الحجم من ردود الفعل الواسعة ضدها.

وقد عبر ذلك بوضوح عن أن التهديد بإسكات الصوت الآخر أدى إلى فوران وغليان كبيرين في أوساط الشباب ضد محاولات القضاء على جذورهم الثقافية المغايرة (لثقافة الصفويين وولاية الفقيه) كما ورد في أحد تعليقاتهم، خصوصاً وان من يقف وراء ذلك لا يعكس إلا الرغبة بإلغاء الرأي الآخر.

وفي مقابل موقع (ضلال نت) لجعفر مرتضى ضد مواقف السيد محمد حسين فضل الله برز بعد تدمير موقع (بينات) موقع أنشأه مجموعة من الشباب باسم (غراند آية الله) وفيه نشرت ردود واسعة على ما يبثه موقع مرتضى ومن ضمنها صورة نجاد مع جعفر مرتضى للدلالة على الاحتضان الإيراني للأخير وسلوكه. ومن شدة الضرر الذي ألحقه الموقع المستحدث بطروحات موقع مرتضى وتفنيده لكل ما ورد فيه تم تدمير موقع (غراند آية الله) أيضاً، قبل ان ينجح الشباب الذين أنشأوه في اعادته منبراً صادحاً ضد ما يرد في موقع (ضلال نت) من مزاعم واتهامات وافتراءات وأكاذيب بحق السيد محمد حسين فضل الله.

رهان يسقط

لماذا هذه الحملة على المرجع الراحل ومؤسساته؟ ولماذا الآن؟

في محاولات تبرير هذه الحملة والسعي لإعطائها الذرائع السياسية خاصة في الأوساط الحليفة للحزب، أشيعت أجواء عن أن السيد علي فضل الله سيشارك بكلمة في مهرجان سيقام في بيروت بمناسبة الذكرى السنوية لوفاة امين عام الجماعة الإسلامية (السابق) فيصل المولوي. وان الاحتفال يتضمن إلى كلمة فضل الله كلمات لعدد من قيادات حركة (الإخوان المسلمين) وعلى رأسهم الشيخ يوسف القرضاوي والزعيم الإسلامي التونسي راشد الغنوشي وغيرهما.

واذا كانت المشاركة اتهاماً، وإذا كان مد اليد للجماعة الإسلامية جريمة، وهما أمران مغايران لأي منطق سوى منطق الفئوية الضيقة ومحاولات الاستئثار بكل شيء وإعطاء الحق للنفس بإعطاء شهادات حسن سلوك لهذا وحجبها عن ذاك دون أي مسوغ، علماً ان المشاركة مطلوبة ليس فحسب لتكريم ذكرى المولوي الراحل الذي وقف بكل ما أوتي من إمكانات وقدرات مع المقاومة خاصة في حرب تموز/ يوليو ٢٠٠٦، وانما ايضاً للتواصل مع قيادات العالم الإسلامي سواء كان هناك تطابق في الرأي والموقف من القضايا المطروحة وعلى رأسها الربيع العربي وأحداث سوريا.. إلخ أو لم يكن هناك تطابق، فالتقارب بين المذاهب الإسلامية لا يكون بالخطب الإنشائية الرنانة بل بالفعل والمبادرة والحوار والتواصل والتلاقي سعياً إلى وحدة إسلامية يتهم أعداء العالمين العربي والإسلامي بالعمل للحؤول دون قيامها وتجسيداً

واقعاً حياً وفعلاً مستداماً. ثم هل أن حزب الله على عداء مع الجماعة الإسلامية أم يعتبر نفسه معها جناحين لجسد واحد؟ أم ان الحزب هاله ان يستقبل السيد علي فضل الله الأمين العام الحالي للجماعة الإسلامية في قرية (الساحة) مؤخراً بعد ان رفض اللقاء مع السيد نصرالله، وعبر عن ذلك بالقول انه يرفض (الطريقة المذلة) التي تستخدم في عقد اللقاءات مع أمين عام حزب الله وانه مستعد للقاء ولكن بعيداً عن الطريقة المذلة.

فإذا كان حزب الله يعتبر الجماعة حليفاً له، ويتواصل معها دائماً عبر وفود تلتقي أركانها بشكل دوري، فلماذا يريد حصر العلاقة بينها وبين الفعاليات الشيعية به؟

من الواضح ان الحزب أو قيادته بتعبير أدق، كانت تتعاطى مع المرجع فضل الله قبيل وفاته بكثير من الحرص على عدم استثارة اية حساسيات بانتظار وفاته. وعندما توفي يعرف القاصي والداني كيف تعاطى الحزب مع المناسبة الحزينة وكيف استكثر مسؤولوه ذكر صفته وهي المرجع وآية الله العظمى لدى تأبينه وكاد الامر في حينه ان يثير اشكالات لولا تدخل العقلاء ليكبحوا جماح المتطرفين والمتزمتين الذين اعتبروا يومها كما يبدو ان مرحلة ما بعد وفاة فضل الله ستؤدي إلى فراغ كبير لا بد للحزب ان يستخدمه.

ومنذ تموز/ يوليو ٢٠١٠ تاريخ وفاة فضل الله وحتى اليوم أي منذ اقل من سنتين، خاب رهان المراهنين على حدوث فراغ، وسقط الرهان على انقسام عائلة المرجع الراحل والقيمين على مكتب المرجعيات وكل ما يتبع لها، والمؤسسات على اختلاف قطاعاتها وأهدافها استمرت بالوتيرة نفسها التي كانت تعمل بها ايام السيد محمد حسين فضل الله، والاكثر من ذلك أن هذه المؤسسات نمت وتوسعت وكبرت وزادت انتاجيتها لتولد مؤسسات جديدة. وظهر أن الحزب الذي كان يراهن على السيطرة على مؤسسات فضل الله وجد نفسه عاجزاً عن ذلك من جهة وعاجزاً من ناحية ثانية عن منافستها في أوساط شرائح واسعة من المسلمين الشيعة في لبنان، والانكى من ذلك ان الأسئلة لم تغب لدى هؤلاء في الحزب حول استمرار الصلاة في مسجد الإمامين الحسنين في حارة حريك بإمامة السيد علي فضل الله من دون ان يتأثر المصلون في المسجد بوفاة المرجع فضل الله. حتى ان اخبار اللقاءات والاجتماعات العامة التي يعقدها فضل الله الابن كان الحزب يستكثر ان يصار إلى الإعلان عنها في وسائل الإعلام، ولم يتردد احدهم في السؤال وبطريقة زاجرة ولماذا توزيع الاخبار عن هذه اللقاءات.

منع السنيورة!

وما زاد من حالة الاستياء والسخط والغضب والخيبة لدى الأوساط المذكورة في حزب الله هو الحراك العام للسيد علي فضل الله ومواقفه المعلنة الهادئة والمعتدلة والتوحيدية، وكان له في هذا الإطار موقف نوعي ولافت من أحداث سوريا اتصف بالاتزان والواقعية دعماً للإصلاح والمطالب المحقة، من دون ان يكرر اللازمة المعروفة التي درج أتباع النظام السوري على تردادها.

وعلى المستوى نفسه، كان لفضل الله لقاءات عديدة مع شخصيات بارزة ممن يستحكم الخلاف بينها وبين حزب الله انطلاقاً من السير بالنهج المعتمد لدى مرجعية والده الراحل في التواصل والتحاور مع الجميع، فلم يتردد في استقبال الرئيس فؤاد السنيورة رغم ضغوط الحزب للحؤول دون اللقاء كما استقبل وفداً من تيار (المستقبل) وآخر من الحزب التقدمي الاشتراكي، ولا يتردد في الإعلان عن تلقيه اتصالات من شخصيات لا يرغب الحزب في اتصالها مثل الرئيس سعد الحريري.

وعندما أراد الرئيس فؤاد السنيورة المجيء قبل اشهر قليلة إلى مسجد الإمامين الحسنين في حارة حريك للصلاة بإمامة السيد علي فضل الله تدخل الحزب بقوة رفضاً لذلك ومنعاً له من تحقيق هذه الخطوة التي كان من شأن حدوثها تسليط الضوء على المشهد اللبناني من زاوية أفضل ما يمكن ان يقال عنها انها مختلفة عن زوايا الاصطفافات والتشنجات المذهبية اللصيقة حالياً به، وهي زوايا مفتعلة وغير طبيعية بسبب السياسات والمصالح الفئوية والضيقة فضلاً عن أنها غريبة عن تقاليد عامة المسلمين سنة وشيعة.

من خلال هذا الاستهداف المتعمد للمرجع الراحل ومؤسساته ونهجه في الاعتدال والعقلانية والوحدة وبعد النظر فإن ما يمكن استنتاجه هو فشل سياسة النفس الطويل التي مارسها الحزب قبل سنوات قليلة بانتظار وفاة المرجع فضل الله وحدوث فراغ وتشقق يمكناه من وراثته وبسط السيطرة على إرثه الكبير. وما

الممارسات الأخيرة إلا تعبيرات عن ان الحزب ضاق ذرعاً من استمرار مؤسسات مرجعية كبيرة لم تتأثر بغياب رأسها وقلبها النابض وملهمها ومؤسسها، وحولت الغياب إلى حافز لها ليعطيها زخماً وزيادة في الحيوية والفعالية.. والى تحد كبير واعد بالمزيد من النجاحات وفاء للمرجع الراحل وحفظاً لإرثه الكبير في مجالات شتى.

إيران من الداخل

محمد جميح - الشرق الأوسط

تتخذ إيران استراتيجية واضحة في تصدير ليس فقط ثورتها الخمينية، ولكن مشكلاتها الداخلية أيضا، تنتهج طريقة خوض المعارك على أرض الخصوم، ودفع كرة اللهب بعيدا عن تناقضات الداخل الإيراني حتى لا تزداد جذوة هذه التناقضات وتنفجر بملامسة الكرات التي تقذفها إيران بعيدا عن شباكها.

تدرك إيران أن أوضاعها الداخلية ليست على ما يرام، وأن أدنى كرة لهب تقترب من حطب هذه التناقضات سيجعلها تشتعل داخل الحدود الإيرانية، وهذا ما يفسر استماتة إيران في فتح جبهات خارج حدودها لمشاغلة أعدائها، وتخفيف الضغط عليها. لا تهتم إيران بقدر الخسائر البشرية التي تحدثها معاركها الجانبية، ولا تلقي بالا للشروخ التي تحدثها سياساتها بين شعوب المنطقة، وداخل الشعب الواحد، ولا تكترث لطول ألسنة اللهب ما دامت تندلع في اليمن والعراق ولبنان والبحرين وسوريا، ولا يمكن تصور إيران حريصة على وحدة الصف المسلم، إلا إذا تصورنا أن الوحدة التي ينشدها نظام الملالي، وحدة تسلم للولي الفقيه ونائب الإمام الغائب مقاليد الأمور، وما في ذلك من إرادة لفرض لون سياسي وطائفي واحد على شعوب المنطقة.

حروب إيران خارجها تعطي لإيران ثمرة أخرى تتمثل في أن ينظر إليها الآخر على أنها دولة متماسكة من الداخل لا يمكن ضرب نسيجها الاجتماعي، ولذلك لا تريد إيران أن يلعب خصومها اللعبة ذاتها معها، ولو لعبوا اللعبة ذاتها لوجدوا النتائج ذاتها التي تجدها إيران من خلال إدارة الحروب خارج حدودها.

وعلى ذلك، فإن على العرب اليوم أن يلعبوا اللعبة ذاتها مع إيران. إيران فيها سنّة وشيعة، وبالتالي فإن الدخول على خط المظالم التي يعانيها سنّة إيران أمر مطلوب، خصوصا أن هناك إحساسا بالظلم الفادح لدى أغلب الطائفة السنية في إيران التي لا تملك مسجدا واحدا لها في عاصمة الولي الفقيه. في إيران عرب الأحواز، وهم أشقاؤنا في القومية والدين، وأرضهم أرض عربية، ولهم تاريخهم وكياناتهم السياسية التي لا تستطيع إيران محوها. دعم الشعب العربي الأحوازي لنيل حقوقه الثقافية والاقتصادية أمر مطلوب، دعم العرب الأحوازيين سيخفف الضغط على العرب السوريين واليمنيين وعرب الخليج، مجرد التلويح بدعم المطالب المشروعة للشعب العربي الأحوازي سيجعل راسم السياسة الإيرانية يدرك أن بيته من زجاج.

وفي إيران كذلك أكراد يشعرون بالتمييز العنصري ضدهم ويقومون بمقاومة مسلحة لنيل حقوقهم التي وجدوها في العراق ولم يجدوها في إيران، وفيها بلوش سنّة وأذربيجانيون مضطهدون، يتحتم على العرب مد جسور التواصل معهم، لتشعر إيران أنها ليست الوحيدة التي تجيد الرقص على أكثر من حبل في الحين ذاته. على العرب أن ينطلقوا في علاقاتهم مع إيران من منطلق الندّية، وفقا لسياسة «كما تدين تدان»، وهم أكثر قوة، وأوفر موارد حال اجتمعوا على سياسة واحدة تجاه أطماع إيران في مقدرات شعوب المنطقة. لا ينقصنا شيء سوى استراتيجية واضحة للمواجهة، دون أن أعني المواجهة العسكرية، ولكن المواجهة الدبلوماسية والثقافية والاقتصادية ومواجهة إيران من داخلها.

الحقيقة أن النظر إلى إيران من بعيد يظهر قدرا كبيرا من التجانس داخل نسيج لوحتها، غير أن الاقتراب أكثر من اللوحة يجعل القدرة على تمييز تناقضات الفسيفساء أكبر، وهذا ما يلزم العرب لفهم نقاط ضعف إيران في الوقت الراهن. ولا ينبغي أن نمر هنا دون أن نعرج على دور الإعلام العربي الموجه إلى الشعوب الإيرانية، فإذا كانت إيران تمول ما يقترب من أربعين فضائية ناطقة باللغة العربية تبث الحقد والكراهية الدينية والتفرقة الطائفية، وتعج بالشعوبية الصارخة ضد العرب، فلا أقل من توجيه عدد من القنوات الفضائية الناطقة باللغة الفارسية على سماء إيران، وعندها سوف

تعرف إيران أن ما لديها من هشاشة اجتماعية أكثر مما تتصور هي أو يتصور العرب.

إيران تشبه اليوم في أساليبها المستعمر الأوروبي القديم الذي كان يتدخل في بلادنا بحجة حماية الأقليات المسيحية العربية عندنا حتى سيطر بالكامل على معظم الأراضي العربية. والشيء ذاته تفعله إيران اليوم بالتدخل في الشؤون العربية بحجة حماية الأقليات الشيعية العربية حتى يتسنى لها النفاذ من خلال ذلك إلى ما تراه استحقاقات تاريخية إقليميا ودوليا. وكما لم تكن الأقليات المسيحية العربية هي السبب الحقيقي لدخول المستعمر الأوروبي إلى بلداننا، فإن حماية الأقليات الشيعية العربية ليست بالسبب الحقيقي وراء لهاث إيران المسعور للتدخل في شؤوننا، الهدف واضح، هو السيطرة على مقدرات المنطقة، وكسر إرادة شعوبها وفرض هيمنة إقليمية. ولو كانت حماية الشيعة العرب هي الدافع لإيران لكان الأجدر بها أن تعطي الشيعة من الأجناس الأخرى في إيران كامل حقوقهم، بدلا من فرض اللغة الفارسية عليهم، ومنعهم من الحفاظ على تراثهم الثقافي.

ليس أمام العرب اليوم من خيار إلا نبذ الفرقة والالتفاف حول مشروع عربي يمكن أن نقول إن ملامحه بدأت بالتشكل مع توقان شعوب المنطقة إلى الحرية والعدالة، وفي هذا الصدد يمكن التذكير بأن العرب يستطيعون اللعب على ورقة التوازن الإقليمي بالتنسيق مع الأتراك لكبح جماح التهور الإيراني. تركيا على الأقل تحاول الاقتراب من العرب لمنافسة الأوروبيين، فلماذا لا نحاول الاقتراب منها لمنافسة إيران؟ خصوصا أن الأتراك أصحاب مشروع حضاري مدني في ما يبدو، والتجربة التركية أكثر نضجا وأقرب إلى إيقاع العصر والحداثة من نظام الملالي الذي لا يزال يعتقد أن المهدي الغائب يتحكم في أركان الكون كيف يشاء.

أعلم أن وكلاء إيران العرب سيقولون إن هذا ضرب من محاولات استبدال إيران بإسرائيل في خانة العداء، وهذه حجة لا تستحق الرد عليها لأن قائليها لم يستطيعوا إلى اليوم إثبات أن إيران تسعى حقيقة لمحو إسرائيل من الخارطة كما تدعي، ولأن إيران وإسرائيل تتبادلان تقديم الخدمات الجليلة بعضهما إلى بعض على حساب الطرف العربي. إيران بسياساتها تقدم لإسرائيل الخدمة التي تريدها من التفاف دولي حولها بحجة تهديدات إيران، في الوقت الذي نعلم فيه أن إسرائيل ترى أن الصراع مع العرب - وليس مع إيران - هو صراع وجودي، وإسرائيل تعطي إيران مشروعية طموحها النووي الذي لا يشك عاقل بأنه غير موجّه إلى إسرائيل التي تمتلك سلاح الردع الاستراتيجي، وإنما إلى العرب الذين لا يملكونه، وكذا إسرائيل تعطي إيران خدمة الظهور بمظهر المدافع عن الأمة الإسلامية في وجه قوى الاستكبار العالمي، تلك القوى التي لم تكتوِ بنار إيران كما اكتوى بها العراق واليمن ولبنان وغيرها من الدول العربية.

أعلم أن وكلاء إيران سيقولون إما أن تكون مع محور الممانعة ومشروع المقاومة ممثلا بإيران ونظام الأسد، وإما مع محور أميركا وإسرائيل الملعونتين في شعارات إيران لا ممارساتها، أعلم ذلك وأقول: وتلك حكاية سخيفة مللنا من ترديدها، فالمقاومة في عرف إيران هي مقاومة طموحات الشعب العربي السوري في حياة حرة كريمة، لا غير، ثم إن القول على العرب الاختيار ما بين إيران وإسرائيل قول فيه قدر كبير من المغالطة؛ إذ لا يتعين علينا أن نختار بين مشروعين يتنافسان على احتلال أراضينا ونهْب ثرواتنا والتحكم في مقدرات شعوبنا. من الإجحاف القول إن علينا أن نختار ما بين رعي الجمال عند أحمدي نجاد أو الخنازير عند نتنياهو، كما قال يوما أحد أقلام إيران في بلادنا، بل الصحيح أن خيارنا الوحيد هو أن نرعى إبلنا نحن، ومن أراد منا أن يرعى جِمال نجاد أو خنازير نتنياهو فهذا شأنه، لكنه لن يفرض علينا أن نختار ما بين الشيطان الأكبر الأميركي والشيطان الأكبر الإيراني، لأن الخيار بين شيطان وآخر نوع من الإجبار، لا خيار فيه، وهذا ما يريد أن يوصلنا إليه المبشرون بالمشروع الإيراني في منطقتنا العربية.

تركيا "السنية".. وفشل سياسة الاحتواء

عادل الطريفي - الشرق الأوسط ٢٠١٢/٤/٢٥

حين زار رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان طهران في مايو (أيار) عام ٢٠١٠، ليقدم الدعم لمشروع برازيلي بخصوص ملف إيران النووي، وصفت الصحافة المحافظة في إيران أردوغان بأنه مثال يحتذى للقيادة

الحكيمة في المنطقة، كما أفردت بعض الصحف تحقيقات موسعة عن تصريحات أردوغان المؤيدة لإيران، ولا سيما مواقفه المنتقدة لإسرائيل وللعالم الغربي، تجاه الدول المسلمة، حتى رأى بعض المعلقين أن العلاقات التركية - الإيرانية هي نموذج للاستقرار والتعاون، مجادلا بأنه منذ توقيع معاهدة قصر شيرين - أو معاهدة «زهاب» كما هي معروفة بالتركية - في عام ١٦٣٩ بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، فإن الحدود ظلت محترمة، وما تزال تلك الاتفاقية أساسا لكل المعاهدات الحدودية بين البلدين.

لقد تمكنت حكومة حزب العدالة والتنمية التركية في الأعوام العشرة الأخيرة من التقارب مع كل من إيران وسوريا، إلى الحد الذي دعمت معه إيران حملة تركيا العسكرية على معاقل حزب العمال الكردستاني في ٢٠٠٦، وإلى درجة أن تراجعت سوريا عن مواقفها بخصوص لواء الإسكندرون، بل أسقطت التأشيرات للمتنقلين بين حدود البلدين. إضافة إلى ذلك عززت تركيا علاقاتها الاقتصادية بكل من إيران وسوريا لتتجاوز في أعوام قليلة أرقاما قياسية، وحصلت تركيا على تسهيلات إيرانية في قطاعي النفط والغاز، ولعل هذا ما دفع بالرئيس السوري بشار الأسد إلى التبشير بمحور إيراني - سوري مؤيد للمقاومة يضم إليه كلا من تركيا والعراق، في مواجهة ما اعتبره قوى مضادة تمثلها السعودية ومصر ودول الخليج (جريدة «الحياة» - ٢٦ أكتوبر ٢٠١٠).

حقيقة خذلت تركيا توقعات المراقبين بعد سقوط نظام صدام حسين، فهي لم تسعَ لملء الفراغ السني الذي أحدثه صعود الإسلام السياسي الشيعي إلى السلطة في العراق، ولم تبدِ أي رغبة في استعادة إرثها العثماني في مناطق النفوذ القديمة، بل على غرار ذلك فقد أصبح إسلاميو تركيا أكثر تصالحا مع «بعث» سوريا، وأقل حساسية تجاه النشاط الثوري الإيراني في المنطقة، ربما لأن سياسة الاحتواء التي تباهى بها أردوغان وحزبه قد أتت بفوائد كبيرة لتركيا، ولكن تلك السياسة تعرضت في العام الماضي لهزة كبيرة، اضطرت معها تركيا إلى إعادة تقييم علاقاتها بشكل كبير.

حين بدأت الانتفاضات الشعبية في بعض العواصم العربية بداية ٢٠١١، حاولت تركيا آنذاك التريث في تأييد الشارع، بل أظهرت مقاومة للتدخل الأجنبي في ليبيا، وأطلق أردوغان انتقادات لاذعة لـ«الناتو»، وحتى حين بدأت الانتفاضة في سوريا أوفدت تركيا دبلوماسييها إلى سوريا في محاولة لاحتواء الموقف وإقناع الأسد بإجراء إصلاحات، ولكن مع استمرار سقوط القتلى في الشوارع أطلقت أنقرة سلسلة من التصريحات المنددة بنظام الرئيس بشار الأسد، ولم يمضِ وقت حتى شاركت مضطرة في عمليات الناتو - لوجيستيا على الأقل - في ليبيا، وهو ما عقد العلاقة مع طهران بشكل كبير. الموقف التركي بدا مترددا، ففي حين كان أردوغان يطلق تصريحاته مهددا بالتدخل العسكري المباشر، ومتوعدا الأسد بمصير القذافي، بدت أجهزة الدبلوماسية التركية أكثر حذرا وأقل حماسا من خطب زعيمها، مما دفع كثيرا من المراقبين إلى القول إن تركيا تشهد انقساما، إما في مؤسسة الجيش أو الخارجية، حول خطورة التدخل في تغيير النظام في سوريا لاعتبارات أمنية، وللأبعاد الإثنية والطائفية التي يمكن أن تطول تركيا ذاتها إذا ما تحولت سوريا إلى مسرح للحرب الطائفية بين تركيا وإيران وأطراف عربية أخرى.

حتى نفهم التحول في السياسة الخارجية لتركيا لا بد من مراجعة تاريخية لبعض الوقائع، ولعلي هنا أشير إلى ثلاث محطات تاريخية:

أولا: ليس صحيحا أن تاريخ العلاقات التركية - الإيرانية كان مستقرا كما يريد دعاة التقارب - من الأتراك - مع إيران تأكيده، فإيران ظلت على علاقة مضطربة وغير مستقرة مع تركيا حتى العقد الماضي. في كتابه «الإسلام والعلمانية والقومية في تركيا الحديثة» يشير زونر كابتجاي (٢٠٠٧) إلى أن هناك وهما يتعلق بمعاهدة قصر شيرين، ويؤكد أن التوتر في العلاقات التركية - الإيرانية لأسباب قومية وطائفية ظل مستمرا حتى بعد نشوء الدولة الحديثة في كل من البلدين، وقد تجاوز الصدام التركي - الإيراني أربع حروب رئيسية. صحيح أن رضا شاه كان معجبا بمشروع أتاتورك القومي العلماني، ولكن في الوقت ذاته خاض كل من البلدين حربا في عام ١٩٣٠، قادت إلى تعديل معاهدة الحدود بينهما، وظلت تركيا بعد ذلك بعيدة عن التواصل مع طهران لتوجهها نحو الغرب على حساب المنطقة.

ثانيا: كان الموقف التركي واضحا في رفض نموذج الثورة الإيرانية، ولعبت تركيا دورا بارزا كعضو في حلف الناتو في التصدي لطموحات تصدير الثورة الإيرانية، وربما لهذا السبب قام النظام الخميني بدعم الجماعات المسلحة اليسارية الكردية، والأرمينية، والإسلامية مثل حزب الله التركي، ضد أنقرة خلال الثمانينات، وقاد الرئيس التركي الراحل تورغت أوزال سياسة واضحة في دعم باكستان خلال الحرب الأفغانية مع الاتحاد السوفياتي، وظلت تركيا متشككة في نوايا النظام الإيراني، وشهدت التسعينات اغتيال مثقفين وصحافيين علمانيين أتراك اتهمت أنقرة طهران بالتورط فيها.

ثالثا: فكرة التقارب مع طهران كانت مبادرة من نجم الدين أربكان زعيم حزب «الرفاه» الإسلامي، الذي اعتبر عراب التقارب مع الجمهورية الإسلامية، ومهد لذلك بزيارة الرئيس محمد خاتمي، وتوقيع اتفاقيات أمنية ونفطية. هذا التوجه كان يلقى معارضة من بعض قادة الجيش والمؤسسات العلمانية التي اعتبرته محاولة من قبل إسلاميي تركيا لتكرار النموذج الخميني في بلدهم، ولعل ذلك ما يفسر زيارة أربكان بعد رفع الحظر عنه في ٢٠٠٩ إلى طهران، وقول علي ولايتي، وزير خارجية إيران السابق ومستشار المرشد، بأن أربكان كان على الدوام صديقا لإيران.

هذه المحطات التاريخية مهمة لشرح مشهد التحول التركي من سياسة الاحتواء تجاه إيران وسوريا بين أعوام ٢٠٠٣ - ٢٠١٠ إلى ما نشهده اليوم من ملاسنات بين الطرفين، ففي الشهور الأخيرة، استقبل أردوغان خصوم رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي، مثل رئيس إقليم كردستان مسعود بارزاني، وطارق الهاشمي، إياد علاوي، بل ذهب إلى الحد الذي معه اتهم المالكي بالتوجه نحو أسلوب ديكتاتوري إقصائي وطائفي. في المقابل، رد المالكي على أردوغان بزيارة طهران، وعلق على ما وصفه بالتدخل «الطائفي» - أي السني - ضد حكومته في العراق، واصفا تركيا بالدولة «العدائية» في المنطقة.

لا شك أن تركيا تمر بمرحلة إعادة حسابات في علاقاتها مع إيران وسوريا، ولكن في الوقت ذاته لا بد من تأكيد أن هناك تيارين داخل السياسة التركية، أحدهما متحمس لمواجهة المحور السوري - الإيراني، والآخر - وبعضهم من حزب أردوغان ذاته - لا يزال يحذر من التخلي عن سياسة الاحتواء تجاه هذين البلدين.

الأحداث الأخيرة تثبت أن الخلافات التاريخية بين الطرفين ما تزال قائمة، فتركيا مهما حاولت بسياسة احتوائها، اضطرت في الأخير إلى استخدام هويتها «السنية» وقوميتها «التركية» حتى وإن لم يكن ذلك مباشرا، ولعلنا نستحضر هنا أن ذلك أمر غير جديد، فحين اشتعلت حرب ناغورنو - كاراباخ (فبراير/ شباط ١٩٨٨) بين الأرمن والأذريين في جنوب القوقاز، أخذت كل من إيران وتركيا موقفا مختلفا تجاه الأزمة، مما فجر خلافا دبلوماسيا بين البلدين، حيث كانت إيران تسعى لإعادة الأذريين إلى حضنها الشيعي الثوري، فيما كانت تركيا متخوفة من توسع نفوذ الخميني في جنوب القوقاز، وهذا ما دفع بالرئيس تورغت أوزال أثناء زيارته للولايات المتحدة في ١٩٩٠ إلى التصريح علانية بأن «الأذريين شيعة، ونحن - أي تركيا - سنة، ولهذا فإن المسألة تخص إيران أكثر من تركيا».

اليوم يتجدد الخلاف التركي - الإيراني حول سوريا، حيث لا يخفي الأتراك شعورهم بأن مصالحهم مهددة في حال استمر نظام بشار الأسد، وحيث تعتبر إيران الموقف التركي - لا سيما رعاية تركيا للمجلس الانتقالي السوري وإيواءها للمهجرين من السنة السوريين - معاديا لمصالحها الاستراتيجية ببقاء حليفها البعثي.

لا شك أن السياسة محكومة ـ غالبا - بالمصالح، وهو ما قد يفسر تحول تركيا عن سياسة الاحتواء تجاه المحور الإيراني - السوري؛ لأن مصالحها قد باتت على المحك في المرحلة الراهنة. الأتراك يشعرون بمخاطر صعود أكراد سوريا في دمشق بعد رحيل الأسد، وهم متخوفون من توتير الأقلية العلوية في تركيا، ولهذا باتوا يبحثون عن بديل إخواني سني لحكم سوريا.

في عام ١٩٨٥ صرح تورغت أوزال عن خيبة أمله بمستقبل إيران تحت حكم الملالي، فردت الصحافة الإيرانية بأن «تركيا ليست إلا بيدقا للمصالح الأميركية»، وبعد مرور ٢٥ عاما قال أردوغان كلاما مشابها في نقد طهران، فردت الصحافة الإيرانية: «تركيا

تنفذ أجندة أميركية لنشر النموذج التركي من الإسلام السياسي».

خليجياً هناك خطورة إيران فقط

تركي عبد الله السديري - صحيفة الرياض ٢٠١٢/٥/٦

ليست مهمتي أن أقوم بتعديل أي وجهات نظر في أي مقال صحفي، فاختلاف وجهات النظر يوجد ما يمكن أن يسمى حقيقة ويوجد أيضاً ما يمكن أن يسمى مغالطة..

لكن عندما يأتي الخطأ وهو ممارسة لتبرئة اتهام دولة من تعميم أطماعها على عدد من مواقع غيرها حولها وأنها توظف الاختلاف المذهبي الإسلامي لتوسيع فرص الانشقاقات ثم تجزئة الانتماءات..

نحن لا نقول بأن إيران تمثل خطراً عسكرياً يهدد الباقي من الفلسطينيين أو الجانب السوري ومثله الجانب الأردني فهذا تخصص إسرائيل، لكن لا يستطيع أحد أن يبرهن بأن إسرائيل مارست انتشار خطورة لها داخل المجموع الخليجي.. هناك تخصص استهداف داخل المجموع الخليجي تقوم به إيران، وهناك أيضاً تخصص استهداف إسرائيلي داخل الدول المجاورة لفلسطين تقوم به إسرائيل..

وعندما يأتي جهاد الخازن في عدد يوم الأحد من الأسبوع الماضي في جريدة الحياة ليقلل من خطورة ما يشاع عن وجود نووي تتجه إليه إيران فإن هذا الأمر سواء توفر أو تم كبحه - وهذا هو المتوقع - إلا أن إيران تخطط عبر أساليب مختلفة تقوم على الاحتلال من ناحية مثلما فعلت في ثلاث جزر إماراتية.. هل ينكر الخازن ذلك..؟ وتقوم أيضاً على تحريض الاختلاف الطائفي مثلما فعلت في البحرين بل حاولت أن تمتد به إلى دول خليجية أخرى..

ببساطة العودة إلى بعض نوعيات الحوار في قمم الاجتماعات الخليجية أو اجتماعات الأمانة العامة.. أو وزراء الخارجية.. أو متابعة ما تنشره الصحف الخليجية.. جميعه يؤكد وجود المخاطر الإيرانية.. ليست المحتملة فقط ولكن المدرجة في سياسة هذه الدولة..

أنا لا أستغرب أن تكون أفكار جهاد الخازن بهذه النوعية من التأرجح بين مواقف متناقضة فعند نفيه عدوانية إيران يأتي في مقال آخر قوله بأن وجود الاعتراضات ومظاهر الرفض في البحرين ليس أمراً مرفوضاً أو غير طبيعي.. كيف تفسر هذا التباين؟..

لا أريد أن أتوسع في التعليقات لكنني على الأقل أعترض أن يأتي هذا الرأي في صحيفة يفترض أنها سعودية.. وهناك الكثير مما يمكن أن يقال..

قناة خليجية ناطقة بالفارسية للوصول إلى الرأي العام الإيراني

نيما تمدن وأرش كرمي - الشرق الأوسط ٢٠١٢/٥/٢٩

سلط النزاع الذي تجدد مؤخرا على جزيرة أبو موسى، وهي الجزيرة الأكبر مساحة بين الجزر الثلاث التي تقع في مضيق هرمز، بين إيران والإمارات العربية المتحدة، الضوء مرة أخرى على ضرورة وجود قناة أخبار ناطقة باللغة الفارسية فعالة تدار بمهنية، وذلك لإتاحة الفرصة أمام دول مجلس التعاون الخليجي للتواصل مع الشعب الإيراني.

قام الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد بزيارة مفاجئة إلى جزيرة أبو موسى يوم ١١ أبريل (نيسان)، حيث أعلن عن بعض الخطط الإيرانية لتحويل تلك الجزيرة والجزيرتين الأخريين المجاورتين - طنب الكبرى وطنب الصغرى - إلى منطقة جذب سياحي.

وصفت دولة الإمارات العربية المتحدة تلك الزيارة بـ«الاستفزازية»، بينما قام مجلس التعاون الخليجي بشجب الزيارة. وفي ردها على تلك التصريحات، أكدت الحكومة الإيرانية أن إيران تمتلك السيادة على تلك الجزر منذ «عهد بعيد» وأن الجمهورية الإسلامية سوف تدافع عن حقوقها بكل قوة.

ووصف وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحي تلك الزيارة بأنها «شأن داخلي» محض. وحذر دول الخليج من أن الأمور ربما تصبح «شديدة التعقيد» إذا لم تتصرف تلك البلدان بحذر تجاه الجزر المتنازع عليها.

وعلى الرغم من ميول أحمدي نجاد لإثارة الجدل وأن دوافعه من وراء تلك الزيارة لا تزال محل شك، فقد

قامت أبوظبي باستدعاء سفيرها في طهران وتقدمت باحتجاج إلى الأمم المتحدة. وتم إلغاء مباراة لكرة القدم بين الدولتين على خلفية تلك التوترات، بينما تصر أبوظبي على ضرورة حل هذا النزاع الحدودي الذي استمر لعقود طويلة من خلال المفاوضات أو محكمة العدل الدولية.

وكما هو متوقع، أكد المسؤولون الإيرانيون، بما فيهم وزير الخارجية علي أكبر صالحي، على أن حكم إيران لهذه الجزر «غير قابل للتفاوض وأن السيادة الإيرانية مؤكدة وموثقة»، بينما لعبت وسائل الإعلام المحلية الإيرانية، كما هو متوقع أيضا، دور المنصة لنشر الموقف الرسمي للمسؤولين الإيرانيين. وحتى وسائل الإعلام الناطقة باللغة الفارسية والتي تتخذ من بلدان أجنبية مقرا لها لم تعترض على فكرة ما إذا كانت تلك الجزر الثلاث دائما للسيادة الإيرانية أم لا.

ولم تتحدث وسائل الإعلام الناطقة باللغة الفارسية ببساطة عن وجهة النظر المعارضة والتي تقول، طبقا للإمارات العربية المتحدة، إن إيران قامت باحتلال تلك الجزر بالقوة عقب سحب بريطانيا لقواتها من الجزر الواقعة تحت وصايتها في الخليج عام ١٩٧١، ولم تشر أيضا إلى حقيقة أنه قد تم وضع جزيرة أبو موسى، الجزيرة الوحيدة المأهولة بالسكان في الجزر الثلاث، تحت الإدارة المشتركة في اتفاق مع إمارة الشارقة، وهي إحدى الإمارات المكونة لدولة الإمارات العربية المتحدة الآن، في ذلك الوقت.

وهناك نقطة دقيقة غابت في خضم هذا النزاع الدبلوماسي، إلا وهي قدرة القادة الإيرانيين، سواء كانوا إسلاميين أم لا، على الوصول إلى قلوب وعقول مواطنيهم عن طريق إثارة المشاعر الوطنية، ولا سيما من خلال الإشارة إلى الأمجاد الفارسية القديمة. ولسوء الحظ، فإن هذا الأسلوب لديه القدرة على إثارة الغضب على نحو فعال ثم بعد ذلك توحيد الناس، ليس فقط السكان المحليون ولكن أيضا الجاليات الإيرانية الموجودة في الخارج، حتى أولئك المعارضون للحكومة في إيران، في قضية لن تحقق أية مكاسب ملموسة أو مرغوبا فيها للشعب الإيراني ككل.

إن استغلال القضايا القومية في ساحة المنازعات الدولية لتفادي أوجه القصور الداخلية ليس جديدا بالطبع. وهناك نزاع على اسم الخليج الذي يفصل إيران عن شبه الجزيرة العربية، وهو ما جعل وسائل الإعلام الفارسية تشير إلى مجلس التعاون الخليجي باسم «مجلس تعاون دول الخليج الفارسي». وبغض النظر عن اسم الخليج (سواء الخليج العربي أو الخليج الفارسي)، فقد بدأ مجلس التعاون الخليجي في عام ١٩٨١ كمنظمة سياسية واقتصادية للدول العربية. وحتى مجلس التعاون الخليجي يشير إلى نفسه رسميا باسم مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

وفي حين لا تملك الدول العربية في منطقة الخليج، بصفة خاصة، والعالم العربي بصفة عامة، قناة مؤثرة للتواصل مع الشعب الإيراني، فإن الحكومة الإيرانية تملك العديد من وسائل الإعلام الناطقة باللغة العربية، لكي تبث وجهة نظرها إلى الدول العربية.

وخلال الأسبوع الماضي، قامت إيران، التي لا تزال تبحث عن جمهور جديد في العالم العربي في المناطق التي منعت من الوصول إليها في الماضي - مثل شمال أفريقيا على سبيل المثال - بدعوة مجموعة من الصحافيين المصريين لزيارة طهران، على الرغم من عدم عودة العلاقات بين الجانبين بصفة رسمية حتى الآن.

وقد أدركت الحكومة الإيرانية - وأنفقت أموالا باهظة - ضرورة وأهمية الوصول إلى الجمهور العربي، فبالإضافة إلى القناتين الإيرانيتين الرسميتين الناطقتين باللغة العربية، وهما قناة «العالم» و«برس تي في»، قامت إيران في عام ٢٠١١ بإطلاق أول قناة إيرانية ناطقة باللغة الإسبانية بهدف الوصول إلى أميركا اللاتينية. وعلى العكس من ذلك، لم تسع الدول العربية، ولا سيما في منطقة الخليج، إلى الوصول إلى الجمهور الفارسي.

ووفقا لتقرير صادر في الآونة الأخيرة من قبل صندوق النقد الدولي، شهد الاقتصاد السعودي، بصفة المملكة العربية السعودية أكبر دولة في مجلس التعاون الخليجي، نموا بنسبة ٦،٨ في المائة خلال العام الماضي، مقابل ٤،٩ في المائة للإمارات التي تعد ثاني أكبر دولة في مجلس التعاون الخليجي، و٨،٢ في المائة للكويت، و١٨،٨ في المائة لقطر الغنية بالغاز الطبيعي.

هـذه الـدول العربيـة الـتي تمتلـك اقتـصادات ناشـئة وضخمة لم تملك بعد وسيلة للتواصل مع الإيرانيين، في الوقت الذي تمكنت فيه إيران، باقتصاد نما بنسبة اثنين في المائة العام الماضي - بحسب صندوق النقد الدولي - من الوصول بفاعلية إلى الجمهور المتحدث باللغة العربية.

ومنذ الانتخابات الرئاسية المتنازع عليها في ٢٠٠٩، فـر مئـات الـصحافيين مـن إيـران وتوزعـوا في أنحـاء العـالم. وعـادة مـا يطلب منهم العمل بلغات لا يتمكنون معها من الأداء بحرفية مهنية. هؤلاء الصحافيون يمكن أن يشكلوا عونا لمجلس التعاون الخليجي في خطة لملء الفجوة الثقافية بين دول المنطقة.

لقد آن الأوان لأن يستخدم مجلس التعاون الخليجي هؤلاء الصحافيين والصحافيين الآخرين المتحدثين باللغة الفارسية لإنشاء قناة إخبارية تلفزيونية تمول وتدار مهنيا بشكل جيد وتلتزم بالمعايير الدولية للصحافة كي تخاطب وتتصل بالناطقين باللغة الفارسية داخل وخارج إيران.

فقناة «الجزيرة» على سبيل المثال، حتى على الرغم من الانتقادات التي وجهت إليها في الفترة الأخيرة بشأن تغطياتها للثورة السورية والمظاهرات في البحرين، مثال بارز على المؤسسات الإخبارية التي تمول بشكل جيد وتدار بمهنية يمكن تحقيقها. الأكثر من ذلك أن هذا المشروع يمكـن أن يـشكل قاعـدة للممارسـة المهنيـة والـصحافة الجادة وجسرا للتواصل بين الإيرانيين والعرب للعمل معا من خلال إيجاد أرضية مشتركة في النهوض بالمنطقة.

❖ **صحافيان مقيمان في أميركا** مهتمان بالعلاقات العربية الإيرانية.

هل "تشاغب" إيران في الخليج لمساندة بشار

محمد المختار الفال - الوطن السعودية ٢٠١٢/٥/٢٩

تـنـامي العنـف في سـورية وشراسـة النظـام ضـد المواطنين والمراوغة في تنفيذ المبادرات الإقليمية والدولية كلها إشارات تؤكد اتجاه الأحداث إلى نهاية هذا النظام رغم محاولة الحلفاء لإبعاد تلك النهاية. ونظرة سريعة على «خريطة» المواقف الإقليمية والدولية تكشف لنا: أن دول مجلـس التعـاون الخليجـي ماضـية، بعـزم وإصـرار، في التحرك ضد هذا النظام بعد أن فقدت الأمل في رفع مظالمه عن الشعب السوري الرافض لبقائه. وتركيا دخلت دائرة «اللاعودة» في مشروع إسقاطه، ويلوح في الأفق إمكانية استخدام عضويتها في حلف الناتو لإيجاد «ذريعة قانونية» تتيح لأعضاء الحلف التدخل الفاعل دون مخالفة النظام الدولي. نعم أصدقاء النظام الدوليون: روسيا والصين ما يزالون «صامدين» لكن هذا الصمود لن يكون دائما إذا تحركت لعبة المصالح والمكافآت وارتفعت فاتورة هذا الصمود، وبالتالي فإن فترة الاحتماء في دفء الحلفاء والأصدقاء بدأت تضيق. ولا يبقى إلا أعضاء «نادي المصير المشترك»: إيران والنظام الطائفي في العراق والنظام السوري وحزب الله في لبنان وبعض المستفيدين أو المتعاطفين من الحركات والأحزاب الفئوية والمجموعات الطائفية في المنطقة العربية على اختلاف في الدرجة والارتباط في المصالح.

تأمل هـذه «الخريطـة» ومكوناتهـا ومقابلتهـا مـع الخطاب الإيراني المعلن والخفي قد يساعد على «قراءة» بعض الإشارات والتحركات الصادرة من طهران في سياق سياساتها لحماية مصالحها وضمان تصاعد تمددها وحضورها في المنطقة. وهنا يبرز سؤال: هل التحركات الإيرانية الأخيرة في الخليج تدخل في جهودها لتخفيف الضغط على نظام الأسد؟ المنطق وتقدير المصالح يقولان إن إيران ستظل تدعم أسباب مساندة أصدقائها الدوليين، روسيا والصين، وتؤكد رغبتها وقدرتها على تقديم المزيد، وستعمل على أن تربط مصالحهم الاستراتيجية معها وأن تؤكد أن تراجعهم أو ضعفهم أمام الإغراءات أو الابتزازات الغربية ليسا في صالح تأثيرهم ومصالحهم الاستراتيجية، وستبقى تخوف وتحفز «أعضاء نادي المصير المشترك» بأن أي تراجع أو تخاذل أو نظرة منصفة للطرف الآخر هي بداية الانحدار والسقوط وبالتالي تفويت الفرصة التاريخية التي تلوح في الأفق. وستظل «تنفخ في نيران» المجموعات الطائفية المرتبطة بها وتحذرها من المهادنة أو التراخي أو الاعتقاد بأن الالتفات إلى الجبهات الداخلية في أوطانها هو ما يحقق مصالحها وطموحاتها. هذا منطقي ومفهوم ومتوقع، ورسائل وإشارات الساسة الإيرانيين تؤكده كل يوم، ولا يتوقع أن تقلل من حماسها ومضيها في هذا الاتجاه، لكن إذا بدا أن هذه «الأوراق» تفقد قيمتها على المستوى السياسي وأفرزت الأحداث على

الأرض واقعا جديدا يهدد بقاء النظام في دمشق ويمنح المعارضة مكاسب عملية، فماذا ستفعل إيران؟

يبدو أن العلاقة الخليجية الإيرانية مرشحة لتكون «مسرحاً» لمحاولات إيران التخفيف عن حليفها في دمشق. ومن الشواهد والإشارات الدالة على ذلك بعض الأحداث والتحركات والحملات الإعلامية، ففي الأسابيع الماضية تحركت إيران لإثارة نزاعها مع دولة الإمارات حين قام الرئيس إيراني أحمدي نجاد بزيارة الجزر المتنازع عليها ليثير حساسية الخليجيين وليرسل «إشارات استفزاز» للمجتمع الدولي بأنه قادر على إحداث تهديدات حقيقية على مصالح الدول الكبرى في المنطقة.. وشنت وسائل الإعلام الإيرانية حملة على قطر وروجت لإشاعات تتحدث عن عدم استقرارها وتجدد نزاع داخل الأسرة الحاكمة. ومعلوم أن قطر في مقدمة الدول التي تناهض نظام بشار ولا تخفي رغبتها في إزالته ودعوتها العلنية إلى دعم الشعب السوري بالسلاح حتى يمكن إسقاط النظام، وهجوم إيران عليها يمكن فهمه من هذه الزاوية رغم المصالح المشتركة التي جمعت بين الدوحة وطهران طوال الفترة الماضية، والتي تشير إلى رغبة الطرفين في الاحتفاظ بالحد الأدنى منها لحسابات أخرى ليس لها علاقة بالقضية السورية بشكل مباشر بل تتعلق بقضايا أخرى بعضها إقليمي وبعضها دولي. فهل ستلعب إيران بورقة خلافاتها مع دول مجلس التعاون من أجل إيقاف حماسها لإسقاط نظام بشار؟ وإلى أي مدى ستمضي إيران في هذا الاتجاه؟ وما هي الأوراق القابلة للاستخدام في هذا التوقيت ويتوقع أن تكون لها قيمة ونجاعة؟

إيران كانت دائماً «تلوح» بقدرتها على إلحاق الضرر بمصالح الدول الكبرى في المنطقة، وتجاوزت مرات عديدة مستوى التلويح إلى الفعل عندما هاجمت ناقلات النفط الكويتية في الخليج في التسعينات وما ترتب على ذلك من تدخل الدول الكبرى بالصيغ المختلفة التي باتت معروفة للجميع.. وكانت ورقة «تهييج» بعض الأتباع لإزعاج الجبهات الداخلية لدول المنطقة، تستخدم من وقت لآخر بدرجات مختلفة، وفي مناطق متباينة. لكن هذه الورقة لكثرة استخدامها وانكشاف بعض أهدافها بدأت تفقد قيمتها حين أدرك المواطنون الخليجيون المتأثرون بالدعاية الإيرانية أنها لا تتحمس لمطالبهم إلا عندما تلتقي أهدافها ومصالحها وبالتالي لم يعد الكثيرون يتفاعلون مع رغباتها و«توقيت» تحركاتها ومع ذلك فإن هذه الورقة ما زال لها اعتبارها في حسابات إزعاج الخصوم.

والذي يبدو في الأفق إن إيران تريد أن «تحيي» الجبهة الخليجية وتسخينها والدفع بتوترها إلى المدى الذي يخلق «حالة» من «الإزعاج» يدعو بعض الخليجيين لإعادة حساباته حول ما يجري على الساحة السورية.. والأمل في تحقيق هذا الهدف يمكن أن يغري إيران باستخدام أكثر من ورقة في هذا التوقيت لزيادة فاعلية الضغط والتسريع بخطواته.. فالخناق يضيق على نظام دمشق الذي يمثل «قنطرة» مهمة في الجسر الممتد من طهران إلى جنوب لبنان، وإذا «انكسرت» هذه القنطرة فإن تداعياتها لن تقف عند خسارة الحليف في دمشق.

من جرائم نظام الأسد النصيري ضد الفلسطينيين

أحمد محمود الحيفاوي - موقع الحقيقة

لم يقتصر النظام السوري في سحقه للثورة القائمة في سوريا على الشعب السوري فقط بل شمل هذا الاجتثاث كذلك الكثير من الفلسطينيين المقيمين واللاجئين في سوريا ومنهم من هرب من بطش المليشيات في العراق ليقع فريسة لشبيحة النظام النصيري الظالم.

والعجيب أن الفلسطينيين يذبحون دائما بيد من يرفعون الشعارات الرنانة بالدفاع عن قضيتهم التي يتخذونها سلما للوصول إلى مآربهم في التمكين والقبول لدى الجماهير، وهذا كما يقال قميص عثمان الكل ينادي به.

وكلهم يدعي الوصل بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

تاريخ الوجود الفلسطيني في سوريا:

تعتبر أرض سوريا وفلسطين تاريخا بلاد واحدة فهي متداخلة فيما بينها ، ولكننا نتكلم عن الهجرة الحديثة بعد التقسيم ودخول اليهود إلى فلسطين.

يعود الوجود الفلسطيني في سوريا إلى عام ١٩٤٨ م حيث هاجرت الوجبة الأولى إلى سوريا هاربة من بطش

العصابات الصهيونية تلتها هجرات كثيرة منها هجرة عام ١٩٥٦م من لبنان ودول مضيفة أخرى، بعد ذلك وعلى إثر عدوان ١٩٦٧م، هاجرت دفعة جديدة من اللاجئين الفلسطينيين من فلسطين إلى سوريا، ثم وبسبب أحداث أيلول في الأردن هاجرت كذلك دفعة قليلة من المنتمين إلى صفوف المقاومة الفلسطينية مع عائلاتهم.

مجازر النظام النصيري ضد الفلسطينيين في لبنان:

بالرغم من الشعارات الرنانة التي رفعها النظام البعثي النصيري في نصرته للقضية الفلسطينية إلا أنه ليس هنالك شيء ملموس من ذلك على أرض الواقع بل على العكس فقد أخذ ذلك النظام على عاتقه إنهاء المقاومة ومنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان بتحالفه مع المارونيين النصارى من أمثال حزب الكتائب وغيرها، وما مجازر ذلك النظام التي ارتكبها ضد مخيمات تل الزعتر وجسر الباشا حيث أزالها من الوجود، وقتل في تل الزعتر وحده حوالي ثلاثة آلاف فلسطيني، قتل قسم منهم ذبحا، وقسم إعداما بالرصاص بيد العصابات المارونية المحمية من قوات النظام السوري وانتهكت أعراض العديد من النساء.

وشرب هؤلاء المجرمون كؤوس الخمر احتفالا بالنصر على المسلمين وهم يعلقون صلبانهم على صدورهم وظهر هذا على شاشة التلفاز في معظم البلدان.

وبعد دخول القوات السورية إلى لبنان قال رئيس الوزراء الصهيوني آنذاك إسحاق رابين كما جاء في كتاب وجاء دور المجوس (ص٤١٨): أعلن إسحق رابين رئيس وزراء العدو الصهيوني السابق في تصريح نقلته أجهزة إعلامهم يقول: (إن إسرائيل لا تجد سبباً يدعوها لمنع الجيش السوري من التوغل في لبنان، فهذا الجيش يهاجم الفلسطينيين، وتدخلنا عندئذ سيكون بمثابة تقديم المساعدة للفلسطينيين، ويجب علينا أن لانزعج القوات السورية أثناء قتلها للفلسطينيين، فهي تقوم بمهمة لا تخفى نتائجها الحسنة!! بالنسبة لنا) [1] [١].

وأعلن الاتحاد السوفيتي[2] [٢] وفرنسا عن ترحيبهما بالتدخل السوري في لبنان.

ويذكر عن ياسر عرفات أنه قال: أن شارون العرب (أي حافظ الأسد) قد حاصرنا من البر، وشارون اليهود قد حاصرنا من البحر.

ونقلت وكالة الصحافة الفرنسية في (١٩٧٦/٩/٢٩): صرح شمعون بيريز وزير دفاع العدو الصهيوني السابق أن هدف إسرائيل هو نفس هدف دمشق بالنسبة للمسألة اللبنانية، وقال أيضاً: (يجب أن نمنع وقوع لبنان تحت سيطرة منظمة التحرير الفلسطينية).

ونشرت مجلة المجتمع في العدد (١٧٢) في (١٩٨٣/٥/٢٨) تقول: قال (جوناتان راندال) في كتابه مأساة لبنان: (وطوال سنة (١٩٧٦) كانت السفن السورية والإسرائيلية تقوم بدوريات في قطاعات مختلفة من الساحل اللبناني لمنع تزويد الفلسطينيين بأية إمدادات، وقدمت الدولتان (سوريا وإسرائيل) أسلحة وذخيرة للميليشيات المسيحية.

ويقول صلاح خلف (أبو إياد رحمه الله) في مجالسه الخاصة: أرسل ياسر عرفات اثنتي عشرة رسالة إلى حافظ الأسد يطالبه بفك الحصار المفروض علينا في بيروت، وعندما لم يتلق جواباً أرسل مبعوثاً خاصاً، وبعد أن سلم رسالة عرفات، وعرض عليه سوء الأوضاع وصلف العدو أجاب حافظ الأسد: (أنا أريد أن تهلكوا جميعاً لأنكم أوباش).

يقول صلاح خلف (رحمه الله): عندئذ أدركنا تآمر أسد علينا، وأن له أوثق العلاقات مع إسرائيل والولايات المتحدة وحزب الكتائب.

هذا هو نظام الممانعة الذي يتشدق به النظام الإيراني ولا يخفى حصار منظمة امل للمخيمات في بيروت تحت سمع وبصر قوات النظام السوري التي كانت منتشرة في لبنان آنذاك.

تلك هي جرائم حافظ الأسد بحق الفلسطينيين وسار الأبن على نهج أبيه وكما يقال الولد سر أبيه، ولا تلد الحية إلا حية.

جرائم بشار بن أبيه ضد الشعب الفلسطيني المظلوم:

١- جرائمه ضد فلسطينيو العراق:

لقد طاردت مخابراته فلسطينيو العراق الذين نفذوا

---

(١) إنظر ما يجري الآن من تشابه بالمواقف الصهيونية تجاه الشعب السوري بعد تحرك الدبابات السورية في مناطق ممنوعة قرب حدود الجولان للبطش بالشعب السوري.

(٢) من هذا نعرف أن المؤامرة الروسية الحالية هي امتداد لمسلسل قديم من المؤامرات.

بجلدهم هربا من بطش المليشيات الشيعية في العراق فكانت تقبض عليهم وتعاملهم كمجرمين وترميهم في الصحراء بين حدود سوريا والعراق ليعانوا أشد الظروف قساوة حتي تأتي وتتكرم عليهم الدول الكافرة لتأخذهم إلى بلدانها وبالتالي تضيع قضيتهم وانتمائهم وقد وصل بطش هذا النظام النصيري بفلسطينيو العراق المقيمين في سوريا إلى حد القتل، فقد قتلت تلك القوات المدعو خلدون محمد محمود أبو خليفة في درعا بمنطقة القصور بتاريخ ٤/ ٣٨/ ٢٠١٢ وهو داخل بيته.

ومنعت سوريا بشار بضعة الاف من فلسطينيي العراق الدخول إلى أراضيها بينما هي استقبلت قرابة مليوني عراقي في سوريا كذلك استقبلت مئات الآلاف من مواطني لبنان خلال حرب ٢٠٠٦.

٢- جرائمه بقتل الفلسطينيين أبان الثورة السورية:

كما بطش بشار بالشعب السوري كذلك فعل مع الفلسطينيين في سوريا ليكمل مشوار أبيه في استهداف الفلسطينيين، فقد ذهب ضحية جرائم كتائب الأسد وشبيحته الكثير من الفلسطينيين حتى بلغ عددهم ما يقارب من ١٢٠ شهيد فلسطيني نحسبهم كذلك والله حسيبهم حتى تاريخ ١٤- ٤- ٢٠١٢ من انفجار الثورة السورية.

فعلى سبيل المثال: قتلت قوات النظام الأسدي المجرم البطل فادي الأسطة وهو فلسطيني ويسكن خارج مخيم حماة ليلة الأحد ٢٠١٢/٤/١٥ اثر استهداف سيارته بالرشاشات الثقيلة لدى عودته إلى منزله ليلاً حيث كان رحمه الله قبل ساعتين من مقتله على البث المباشر في قناة الجزيرة في سهرة لثوار حماة وهو أخو البطل عبد الله الأسطل الذي اغتالته يد الغدر النصيرية في يوم الخميس ٢٩- ١٢- ٢٠١١.

وكانت لهذا البطل سمعة طيبة ويتحلى بالشجاعة والرجولة في كل حماة نسأل الله له الرحمه وأن يسكنه فسيح جناته.

هذا وللعلم فإن قتلى الجرائم الصهيونية على قطاع غزة بلغ ١٢٤ مواطنًا فلسطينيًا في قطاع غزة، وجرح ٦٠٠ آخرين، وذلك باستخدام كافة الأسلحة الجوية، والبرية والبحرية. خلال عام ٢٠١١ نحسبهم شهداء والله حسيبهم.

اما قتلى الفلسطينيين في سوريا جراء جرائم شبيحة الأسد النصيرية فقد بلغوا ١٢٠ قتيلا نحسبهم شهداء والله حسيبهم لغاية تاريخ ١٤- ٤- ٢٠١٢ وهذا ما كان بالاستطاعة إحصاءه ولعل الرقم أكثر وخاصة بعد إحصاء المعتقلين والمفقودين ومعرفة مصيرهم.

وبإحصائية بسيطة عن طريق معرفة نسب الفلسطينيين في سوريا إلى نسبهم في غزة يتبين أن الفلسطينيين في سوريا هم ثلث الفلسطينيين في غزة تقريبا أي أن النظام الأسدي بلغ فتكه بالفلسطينيين أكثر مما فعلته القوات الصهيونية.

وصدق ابن تيمية رحمه الله عندما قال: (هؤلاء القوم المسمّون بالنصيرية - هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية - أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل التتار والفرنج وغيرهم.. وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم).

والواقع يثبت ما صرح به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، لذلك يحرص اليهود على التسمك بهذه الفرقة الكافرة والمجرمة لما تقدِم من خدمات جليلة لهذا الكيان اليهودي الغاصب وما سُطر في هذا المقال من شهادات حية للقادة الفلسطينيين أكبر دليل.

نسأل الله أن يحفظ إخواننا الفلسطينيين في بلاد الشام وبقية إخواننا المسلمين من مكر وكيد هذه الطائفة المجرمة اللهم أمين.

إذا كان حزب الله يعتبر أن الصراع مع إسرائيل أولوية على الصراع مع نظام سوريا فكيف يكون العكس في البحرين..؟؟

حسان القطب - المركز اللبناني للأبحاث والاستشارات ٢٠١٢/٥/١٤

اشتباكات طرابلس الأخيرة وهي المدينة اللبنانية الداعمة لثورة سوريا وشعبها والرافضة لسيطرة حزب الله على لبنان رغم انقلاب بعض نوابها إلى محور سوريا وإيران، ليست عفوية عل الإطلاق، وليست نتيجة عملية خطف مواطن قامت بها مجموعة من مؤسسة أمنية رسمية من داخل مكتب وزير مؤيد لنظام سوريا وقوى

حزب الله في لبنان..فقد سبق أن اعتقل العديد من الشبان الناشطين سياسياً ودينياً في طرابلس ومناطق لبنانية مختلفة وتحت أعذار متعددة وواهية حتى أن بعضها مفبرك ومع ذلك لم تقع حادثة إطلاق نار واحدة أو تم افتعال خلل امني من قبل أي فريق لبناني إسلامي اعتراضاً رغم الامتعاض والشعور العميق بالغبن والاستهداف والانحياز من قبل المؤسسات الأمنية الرسمية لقوى الأمر الواقع المسلحة والمهيمنة على الدولة ومؤسساتها وكذلك على مناطق متعددة من لبنان....الاشتباكات الأخيرة هذه هي حادثة متوقعة ومفترضة، والتعبئة الإعلامية التي أطلقتها منذ فترة قوى شكراً سوريا ضد مدينة طرابلس والشمال بشكل عام إلى جانب قرى البقاع المؤيدة للثورة السورية مهدت لما جرى اليوم حتى تدفع بالمنطقة نحو الصدام الداخلي للجمهور اللبناني مع الجيش اللبناني فيخسر الشعب السوري صديقاً وداعماً، وتؤكد سوريا بذلك وبعد التفجيرات المفتعلة في مدينة دمشق أن الإرهاب بدأ يتمدد نتيجة ارتخاء منظوماتها الأمنية في سوريا ولبنان.. لذا من الممكن أن تقع وتتكرر هذه الحوادث الأمنية في أي حين، وعند الطلب من المجموعات المسلحة التابعة لهذا المحور من قبل المرجع السياسي الإقليمي السوري - الإيراني الذي يرى ويحدد الوقت مناسب لإشعال نار الفتنة ولو بشكل محدود، فهذه الاشتباكات لن تكون الأخيرة كما لم تكن الأولى، ولكن القاسم المشترك فيما بينها جميعها هو محدوديتها وانتهائها بعد تدخل وتداخل وإعلان انتشار للجيش اللبناني وكأنه لم يكن منتشراً قبلاً، وبعد أن تكون الضجة الإعلامية المرجوة قد أخذت مداها المطلوب ووصلت أصداءها لمن يجب أن تصل..، ولو رجعنا بالذاكرة قليلاً إلى الوراء أيام وأسابيع قليلة لنتذكر أنه قد تم إطلاق النار على تظاهرة مؤيدة للشعب السوري المظلوم والمضطهد من قبل نظامه والعالم بأسره بأيدي من قبل من تم تسليحهم وتمويلهم من قوى الأمر الواقع باسم المقاومة...كما وقعت اشتباكات متعددة دون سبب ظاهر أو معلن اللهم سوى إبقاء حالة القلق موجودة ومتوافرة في الساحة اللبنانية ليرتاح النظام السوري وليتغلغل المشروع الإيراني في المنطقة..

الصراع المسلح يتطلب وجود فريقين متصارعين

ولكن في الحالة اللبنانية لا يوجد سوى فريق مسلح واحد ومدعوم من قبل سوريا وإيران وبغض طرف بارز ومعلن من قوى رسمية لبنانية.. لذلك فعملية التصارع وإطلاق النار تسبقها حملات إعلامية وتحضيرات صحفية وخطابات حماسية تبرر ما قد يحصل لاحقاً أو ما قد حصل سابقاً... ولهذا السبب فقد دافع نعيم قاسم نائب نصرالله وممثل حزب الدعوة في لبنان كما يقال عن اجتياح ميليشيا حزب الله وأمل لمدينة بيروت في عام ٢٠٠٨، بالقول: (ما حدث في ٧ أيار/مايو، اشتباك بين فريقين، وكان لحزب المستقبل ٣٠٠٠ مسلح منتشرين في بيروت في الشقق والمباني، وبادروا إلى إطلاق النار بعد تهديد مسيرة الاتحاد العمالي العام من السير على طريق المزرعة بضربها بقذائف الآر بي جي، وقد أبلغتنا القوى الأمنية وأبلغت الاتحاد بذلك، فأُلغيت المسيرة. ثم فوجئنا بإطلاق النار من بعض الزواريب، وكان لا بد أن نتخذ موقفاً، وكنا حريصين على إلا تتسع الفتنة، فانتهت الاشتباكات بعد ساعات) يؤكد قاسم هنا أن الصراع يجب أن يكون بين فريقين فكان لا بد من الإشارة إلى وجوده، ويؤكد أيضاً أن ميليشياته قد اتخذت أو لعبت بكل وقاحة وإجرام دور القوى الأمنية الرسمية اللبنانية التي وقفت شاهداً على عمليات القتل والتخريب دون أن تحرك ساكناً فأين كانت مؤسسات الدولة الأمنية وأين القضاء بل وأين هم المسلحين وأين السلاح...؟؟؟؟

ويخرج نصرالله في خطابه الأخير ليتحدث في قضايا محلية، إقليمية ودولية مهدداً متوعداً مؤيداً ومعارضاً في سوريا والبحرين ودول الخليج، وهي الهدف الحالي للمشروع الإيراني في المنطقة..

- محلياً: يقول نصرالله، (تيار المستقبل لا يمكن أن يدعي أحادية التمثيل لطائفة (السنة) لأن ٣٥ في المائة من الناخبين السنة صوتوا للخط المعارض لتيار المستقبل». وسأل: «هؤلاء كيف يعبرون عن حالهم في انتخابات وفق قانون النسبية؟ تفضلوا إلى النسبية لنقول كل واحد من يمثل في طائفته. «تيار المستقبل» يريد أن يخطف الطائفة السنية، ولهذا يرفض النسبية».وأبدى تفهمه لرفض النائب وليد جنبلاط النسبية «فالحزب التقدمي الاشتراكي يمكن أن نتفهم موضوعه، لكن «تيار المستقبل» يريد أن يبقى مهيمناً على الطائفة»). كيف يتفهم نصرالله موقف جنبلاط الرافض للنسبية ولكنه لا يستطيع تفهم موقف تيار المستقبل، وكيف يكون المستقبل متهماً بمحاولة خطف الطائفة السنية، ووليد جنبلاط غير متهم بمحاولة خطف الطائفة الدرزية..

والسبب بسيط وهو أن المستهدف حقيقةً هم أهل السنة في لبنان، وعندما ينجز نصرالله عملية الإجهاز عليهم سياسياً بعد أن ضمن حضوره وسلطته الأمنية على الجميع بواسطة المؤسسات الرسمية، يصبح وليد جنبلاط تفصيل بسيط في المعادلة اللبنانية فلا بأس من إعطاءه المزيد من الوقت، وكان سبق لنعيم قاسم أن طالب وليد جنبلاط بلعب دور يتناسب مع حجمه الحقيقي..؟؟ أما الموضوع المالي الذي لا ينفك يتحدث فيه نصرالله باستمرار وعن إنفاق مليار ونيف من الدولارات لشراء الأصوات في الانتخابات الماضية، فأحد المصادر الإسلامية يعلق بانفعال على هذا بالقول: (إنه اتهام مباشر للمواطن اللبناني وبالتحديد لأهل السنة في لبنان بأنهم يرتشون ولا يملكون ذمة ولا حس وطني أو ديني مع اعترافه بان ٣٥٪ من السنة لم يصوتوا للمستقبل، وهذا أمر مرفوض واتهام مردود عليه.. فالحاج صلاح عزالدين هو إنتاج حزب الله وكذلك العشرات من أمثاله.. ومن يمول ويشتري ذمم بعض المعممين ليعلنوا له ولإيران الولاء على المنابر ومن يمول بعض التنظيمات والسياسيين مالياً؟ ولماذا لم يعد نصرالله يطالب بإعدام العملاء بعد فضيحة قضية فايز كرم واكتشاف العشرات من كوادره متورطين بالعمالة مقابل مبالغ مالية، وهل يتجرأ نصرالله على ذكر ونشر أسمائهم ومواقعهم التنظيمية، وهل يجرؤ على محاسبة المرتكبين داخل حزبه؟).

- **سورياً: يخاطب نصرالله الشعب السوري مباشرةً مخالفاً الدعوة إلى النأي بالنفس التي يطلقها وزير خارجيته عدنان منصور في حكومته** التي يرأسها نجيب ميقاتي فيقول للشعب السوري: (أنتم أمام منهجين: «منهج بحل الأمور سياسياً من جهة، وعقل تدميري وجهات مستعدة لتقديم الانتحاريين، وليس بالضرورة أن يكونوا سوريين، من جهة أخرى»). هو عملياً يخير الشعب السوري بين الامتثال والخضوع لنظام الأسد وإيران أو التعرض للتدمير ويبرر هذا بالقول مؤكداً: («أننا نزداد قناعة بأن هناك من يريد تدمير سوريا، وذلك فقط لأنهم يريدون التخلص من الداعم الأساس للمقاومة في فلسطين، وللمقاومة في لبنان)..وإذا كان الحفاظ على نظام الأسد ضرورة لخدمة القضية الفلسطينية وإسقاطه مؤامرة، فكيف يكون العكس في البحرين ولماذا لا يطالب نصرالله شيعة البحرين بالتزام الوجهة السياسية عينها واعتبار أن الصراع مع إسرائيل هو أولوية على الصراع مع نظام آل خليفة كما وصفه...؟؟

- **البحرين: وفي حين يتجاهل نصرالله المجازر اليومية التي يرتكبها نظام الأسد بحق الشعب السوري ويدين المعارضة السلمية والمسلحة** لأن الصراع مع كيان إسرائيل أولوية فإنه يؤيد حراك شيعة البحرين وتطرق إلى ما يجري في البحرين، مشيراً إلى أن السلطة تعمل على دفع الأمور إلى مواجهات مسلحة ومتهماً نظام البحرين بارتكاب المجازر..التي لم يسمع بها احد ولم تذكرها حتى القوى الشيعية البحرينية؟؟ (داعياً المعارضة إلى الصبر والمحافظة على حراكها السلمي. وكان سابقاً قد وصف أزمة البحرين بـ«المأساة الوطنية» حيث يقتل الشعب في كل يوم والغازات التي تستخدمها القوات البحرينية قاتلة)..

المشهد العام والأداء السياسي لحزب الله وسلوكه بكل ما يتعلق بالقضايا اللبنانية المحلية وتلك المرتبطة بالشأن السوري والبحريني وغيرها يؤكد مذهبية حزب الله وانغماسه في تأجيج الصراع المذهبي، فهو يتفهم من يريد ومتى يريد وحين يريد ويحدد أين وكيف يجب ممارسة الصراع السياسي أو المسلح ومع من ومتى.. ولكن بجرده حساب بسيطة نرى أن سقوط نظام البحرين بيد شيعة البحرين يخدم المشروع الإيراني الهادف للتواصل مع شيعة المنطقة الشرقية في المملكة السعودية وتغيير معالم المنطقة السياسية والجغرافية والدينية،.. فلذلك الصراع مبرر وحزب الله وأمينه العام يؤيد هذا الصراع.. أما سقوط النظام السوري فيؤدي لانهيار مشروع إيران الهادف إلى ربط بيروت بدمشق عبر بغداد بغرفة عمليات الولي الفقيه في طهران، لذلك فالصراع في سوريا كما يراه نصرالله وفريقه مؤامرة على نظام الأسد، والقتل لأبناء الشعب السوري جزاء مبرر من قبل أقلية طائفية مذهبية حاكمة، وتأييدها واجب ديني كما ذكر احد المراجع الدينية الإيرانية، ومع ذلك يحدثك نصرالله ونعيم قاسم ومحمد يزبك ونبيل قاووق وهاشم صفي الدين وغيرهم من قادة حزب الله، وهم جميعاً معممين ومؤيدين لفكر ولاية الفقيه ومرجعيته الدينية التي تتجاوز الحدود وتعلو على

كل شعور وطني أو قومي، عن مذهبية غيرهم وعن مدى بعدهم عن الروح المذهبية، وعن التعصب الديني والروح الأصولية التي تغمر فريق لبنان أخر (السنة)، وعن مدى انفتاحهم وتعاونهم واعتدالهم ووسطيتهم وقبولهم بالرأي الأخر..وهذا ما يخالف منطق الشكل والمضمون والنهج والتربية التي يمارسها حزب الله وفريقه.. إن مواقف حزب الله في حقيقة الأمر إنما تخدم مشروع إيران في المنطقة وما يقوله أمينه العام أو يحاول تبريره باسم فلسطين والمقاومة هو نهج معتمد لتغطية المشروع الحقيقي لدولة إيران والمقارنة بين الواقع السوري والبحريني ومواقف حزب الله منها تكشف حقيقة هذا المشروع وعمق مذهبيته...

صنع "الشوكة" الشيعيّة.. تونس نموذجا

عمار عبيدي - موقع تورس ٢٠١٢/٥/٣

تطرح العلاقة الشيعية (متمثّلة في إيران) مع الغرب (ممثّلا في أمريكا بالأساس) أسئلة محيّرةٍ كثيرة. ولعلّه من المستحيل دراسة المسألة برمّتها وبالتالي صعوبة الإجابة عن جلّ الأسئلة التّي تطرحها هذه العلاقة. لكن تنامي ظاهرة الاستقطاب الشيعي في تونس يجعلنا مجبرين على محاولة نقاش الموضوع أو على الأقلّ تفكيك بعض الإشكاليات ذات العلاقة بالمشهد التونسي والتي بالتأكيد تتماهى مع الإشكاليات المطروحة دوليا حول علاقة الغرب بإيران.

ولعلّ في مقدمّة الأسئلة التي تتدافع إلى ذهن الباحث في الموضوع هو سرّ صمت حركة النهضة عن ممارسات أصبحت حسب متابعين للشأن التونسي ظاهرة للجميع من طرف «فيالق التبشير» بنظريات «آيات الله الفارسية»؟ ونفس التساؤل قد يحملنا إلى آخر قريب منه إلا وهو كيف تصمت أمريكا ومن اتبع هداها على العلاقة «الودّية» بين حركة النهضة والنظام الإيراني في حين تزعم أنّها تحارب نظام سوريا لنفس السبب وتعزل حزب الله اللبناني لذات الدافع، والقائمة طويلة في هذا الصدد؟

قد يكون «للنهضة» التونسية تفسيراتها الخاصّة للموضوع؛ لكن هل للوبيات أمريكا وفرنسا الإعلامية في تونس تفسيراتها هي أيضا لحملاتها التحريضية ضدّ السلفيين – السنّة - في مقابل صمتهم المطبق عن «السلفية الشيعية» ؟ ولعلّ المقارنة الأخطر التّي تتجاوز هذه التّي سبقت هو تعاطي الغرب مع القدرات العسكرية والعلمية لإيران في مقابل تعاطيها مع مثّيلاتها لدى السنّة.

جرت العادة عند طرح الموضوع الشيعي بأن يلجأ «آيات الله » المبشّرون بالخميني إلى نفي أي نشاط لهم في تونس (أو في أي بلد)، لكن ما حصل هذه المرّة هو أنّ النشاط الجمعياتي الشيعي كان ظاهرا للعيان، بل خرج المنتمون الجدد لهذا المذهب إلى العلن في فضاء تونسي أصبح مفتوحا على كلّ الأفكار من داخل الإسلام ومن خارجه وصولا حتّى إلى عبدة الشياطين!!! لذلك فإنّه ما من شك أنّ الشيعة يحاولون الاستقطاب، قد يطول الجدل حول إمكانية نجاحهم أم لا، لكن الأكيد، حسب عديد الجهات، أنّهم ينشطون، وقد حشدوا قرابة ٥٠٠ شخص في مكان له رمزياته التاريخية في تونس كالقيروان، مهد الإسلام في المغرب العربي، ليحتفلوا فيها بعاشوراء!!!

ولئن نفت حركة النهضة على لسان عديد قادتها تواجد أي نشاط شيعي في تونس إلا أنّ أحداثا كثيرة أثبتت الحراك الإيراني في تونس. أما اكتشاف بعض الشباب لإحدى المكتبات التّي تشرف على طبع وتوزيع المراجع الشيعية في تونس لهو دليل واضح على حركة خفيّة «لآيات الله المبشّرين» لكنّها تتوسّع. ولعلّ انتشار هذه المراجع في المكتبات وأمام المساجد خير برهان على ذلك، ناهيك عن الجمعيات التّي يشرف على نشاطها متشيّعون تونسيّون في الجهات التّي تشهد منذ عهد الرئيس المخلوع نشاطا لافتا لهؤلاء. وقد ازداد بعد الثورة.

سرد الإثباتات حول هذا النشاط الشيعي في تونس قد يطول، فالمسألة أصبحت مسموعة ومرئية للجميع، حتى أن أحد المحامين أعلن عن تأسيس الرابطة التونسية لمناهضة المد الشيعي في تونس التي ستأخذ على عاتقها مهمة التصدي للتشيّع على حد تعبير مؤسسها.

تعوّد المتابعون للجماعات الإسلامية خاصة منها المناهضة لأمريكا أو التي تدّعي الممانعة أن تستبق الولايات المتحدة الأحداث بإغلاق المنافذ أمام هذه الجماعات، على شاكلة ما فعلته مع تنظيم «القاعدة» من خلال تصريحات تحذيرية أو تقارير أمنية تدفع إلى التصدي لهذه الجماعات وهو ما يغيب في حالة الاستقطاب الشيعي في تونس. ومن الأكيد أنّ حكومة الترويكا في

تونس ليس لديها من الاستقلالية ما يجعلها بمنأى عن تجنب التوبيخ الأمريكي – إذا ما وجد- حول ضرورة منع جماعات الاستقطاب الشيعي من العمل في تونس علنا. لكن الولايات المتحدة تريد استعمال النموذج الثوري الإيراني في التصدّي لنموذج أكثر ثورية وهو النموذج السلفي السني الذّي يبدو أكثر قدرة على الاستقطاب، وهذا ما تثبته الدراسات الأمريكية التّي تشدّد على قلقها الشديد من هذا التيّار السلفي الذّي يزداد يوما بعد يوم وينبئ حسب ذات المصادر بما تزعم أنه مخاطر عديدة رغم إعلانه «سلمية الدعوة».

رغم كلّ هذا قد تعلّل الحكومة الإسلامية صمتها تجاه التحرك الشيعي في تونس بالمبادئ الديمقراطية التّي تسمح بحريّة التعبير وبالتّالي لا يمكن التصدّي لأيّ أفكار مهما كانت، رغم أن ذلك يعتبر متضاربا مع دعوات الحكومة إلى إخلاء المساجد من الأئمة السلفيين وتركها بيد المنتمين لحركة النهضة فقط. ولعلّ تاريخ حركة النهضة المرتبط كثيرا بالجمهورية الإيرانية والمساعدات الإيرانية سبب آخر لنلتمس عذرا لها في عدم تطرّقها للموضوع الشيعي، وقد نذهب أبعد من ذلك لنقول ربّما لا تزال حركة النهضة غير قادرة على بسط هيبة الدولة بما يكفي لإيقاف هذا الأمر.

الإعلام والشيعة «السلفيون يبرزون للعلن والشيعة لا يظهرون» و«الأدلّة العلمية تثبت التواجد السلفي ولا تثبت الاستقطاب الشيعي». هذه هي أقوى الحجج التّي قد يطرحها الإعلاميون التونسيّون عند سؤالهم عن سبب تركيزهم على المسألة السلفية دون التطرّق إلى الشيعة في بلدهم. لكن الأدلّة العلمية متوفرة والحجج القويّة كذلك، فالمركز الثقافي الإيراني – الذراع التبشيري للشيعة- ينشط على السّاحة التونسية كما لم ينشط أبدا، ويكفي أن نذكر أنّ قرابة المائة شابّ وقعت استضافتهم فيما يعرف بمؤتمر الصحوة الإسلامية في إيران، كما قام المركز بتكثيف نشاطه الثقافي والإشهاري مثل صفقة إعلانية عقدتها السفارة الإيرانية مع جريدة الصباح التونسية قيمتها ثمانية ملايين من المليّمات لتقوم الصحيفة بإشهار لإنجازات الجمهورية الإسلامية ناهيك عن المهرجانات والنشاط الجمعياتي. فقد حضر - كما سبق وذكرنا- أكثر من خمسمائة شخص في ولاية القيروان ذكرى عاشوراء حسب التقاليد والعادات الإيرانية التّي تعرف بالنياح وجلد النفس، ممّا يفسرّ توغلّ المدّ الشيعي لا على المستوى الفكري فحسب وإنّما تغلغله أكثر ليصل إلى الممارسة أيضا في تونس.

كلّ ما سلف يثبت بأنّ ظاهرة التشيع تطفو بوضوح على سطح الأحداث، لكن المشكل في أنّ الإعلام والسُّلَطْ يريدان تجاوزها عملا بمبدأين أساسين هما نفس المبدأين اللذّين تتعامل بهما الولايات المتحدّة والغرب مع الملف الإيراني في الفترة الراهنة وهما:

أوّلا: صنع الشوكة الشيعي

إيران تصنع مروحية.. إيران تصنع طائرة نفاثة.. إيران تطوّر صاروخ شهاب.. إيران وصلت إلى مراحل متقدّمة في برنامجها النووي.. كلّ هذه السنوات التّي مرّت وجمهورية الفرس ليست على أجندة أمريكا القتالية؟؟ حتّى ادّعاؤها دعم الرئيس العراقي صدّام حسين في حرب الخليج الأولى تبيّن أنّه زائف، وكان القصد منه صدّام وليس إيران، فتلك الحرب سهّلت صنع أزمة اسمها العراق في الخليج للتدّخل على مدى سنوات لإنهاء صدّام حسين، القوّة السنية التّي نمت أكثر من اللازم بالنسبة أمريكا.هو إذن صمت متواطئ، القصد منه صنع إيران القويّة كشوكة في خاصرة أي محاولة سنيّة للوقوف من جديد. لذلك ليس مسموحا للعراق بالتسلّح ولا لأيّ كان من دول أهل السنّة، لذلك أيضا تمّ وأد التجربة النووية العراقية وحتّى التجربة السورية رغم نظامها العلوي، لأنّ الشعب السوري أغلبه سنيّ وقد يثور.. لذلك أيضا وأيضا تمّ إنهاء المحاولة السورية بذات الطريقة التّي أنهيت بها المحاولة العراقية (قصف بالطيران الإسرائيلي). ونفس الأمر ينسحب على النموذج التونسي الذّي يتمّ فيه صنع امتداد شيعي خاصّة في الجنوب الذّي تشكلّت فيه منذ مدّة نواة شيعية بدأت بعد الثورة بالتحرّك ووضع مخطّط ممنهج لتشييع التونسيين وسط غطاء من الصمت السياسي والإعلامي المشبوه.

لعلّ أبعاد صنع النموذج الشيعي كثيرة لكن تجلّياتها تبرز أساسا في رسمه على أساس أنّه نموذج ممانع لهيمنة «المركز»، ليس له ارتباط بالغرب من خلال سلسلة التهديدات والعقوبات الجوفاء التّي لا تقتل إيران بقدر ما

تصنع منها رمزا لبطولات تسهّل أمامها طريق الاستقطاب في الشعوب السنيّة.غير أنّ المتأمّل في خفايا نموذج الممانعة الشيعي يدرك زيف هذا الادّعاء الذّي تدحضه سلسلة التّآمر الإيراني مع أمريكا على العراق وأفغانستان وغيرها التّي خاضتها إيران مع الغرب بهدف وأد محاولات استرداد الهيبة السنية أمام الاحتلال الأمريكي الذّي قدّمت له إيران العراق على طبق من ذهب ووشّحت الاحتلال الغربي لأفغانستان بنياشين المباركة والحصار للمقاتلين الأفغان.

ثانيا: هدم النموذج لأقوى

قد يبدو التساؤل عن جدوى بناء الغرب لإيران القويّة وتجاهل تعاظمها معقولا بل مبرّرا ولكن ذلك في حدود معيّنة، غير أنه من الأكيد أنّ غضّ الطرف عن تنامي قدرات إيران العسكرية ومحاولة نشر فكرها الشيعي مبرّر أكثر، باعتبار أنّ القصد من ورائه ليس خدمة إيران بل ضرب السنّة لأنّهم الخطر الأكبر. من الضروري أن نذّكر بأنّ «المركز» يدرك جيّدا تفاصيل الاختلافات المذهبية داخل الإسلام لذلك فهو يعرف محدودية قدرة الشيعة على الانتشار كما يدركون جيّدا قابلية الفكرة السنيّة على الإقناع بل وأكثر من ذلك على توحيد الصف الإسلامي وذلك أخطر بالنسبة لـ «المركز» الذّي يبحث عن التفتيت ونشر الأفكار الهدّامة المجزّئة وليس الموحدّة. زيادة على أنّ «المركز» يدرك جيّدا أنّه صحيح أنّ النموذج الإيراني الشيعي ثوري لكنّه غير قابل للمقارنة بالنموذج الثوري السني الذّي تستعصي معه أنصاف الحلول، أيضا النموذج الشيعي قابل للتفاوض على التوحيد وعلى الأرض وتسهيل احتلال العراق مثال جيّد على ذلك، لكن في المقابل النموذج الثوري السنّي والممثّل أساسا في الجماعات المقاتلة يرفض التفاوض على الأرض وبالأساس على التوحيد.

لماذا تونس نموذجا؟؟

قد يكون من العجيب طرح الفكرة الشيعية في تونس لكن من الضروري القول إنّ إفريقية ليست بمنأى عن عودة الشيعة. إذ شهدت تونس في فترة تاريخية بعينها سيطرة دولة العبيديين اللذّين أخرجهم أصحاب سٌحنون من سادة المذهب المالكي وحاربوهم لاسترجاع بلدهم. وهذا الأثر الشيعي لفترة العبيديين لا يزال عالقا في بعض المناطق في الجنوب التونسي التّي لا تزال تختزن بعض المعتنقين لهذا المذهب. لأجل هذا كلّه فإن تونس أرض مناسبة لصنع نفوذ شيعي علّه يعيق المدّ الثوري المتعاظم لأهل السنّة والجماعة في هذا البلد. ولعل ما يخيف أكثر هو استغلال الحماس الثوري للشباب التونسي في غير موضعه رغم أن إمكانات تحقق ذلك ضئيلة إلا أن النموذج الثوري الإيراني مطروح كقوّة قد لا تستطيع المنافسة فكريا لكنّها قد تعطّل سرعة نهوض النموذج الأقوى على الأرض وفي الفكر أيضا.

تعريف بعمر بكري فستق

مجلة الشراع - عدد ١١٨- ٢٠١٢/٥/١٠

[أجرت مجلة الشراع مقابلة مع عمر بكري، نقتطف منها هذا التعريف به وذلك لبيان حقيقة منهج وتقلبات عمر بكري، والذي يدعى زعامة السلفية الحقة !! الراصد]

هو عمر بكري محمد فستق، مواليد بيروت درس في المعهد الشرعي في جامع المصيطبة وكان عضواً في جماعة «عباد الرحمن »وكذلك كانت له دراسات إسلامية مع بعض قادة الجماعة الإسلامية عندما انطلقت من عباد الرحمن.

وخلال الحرب في العام ١٩٧٥، غادر لبنان مباشرة إلى السعودية حيث درس في المدرسة الصولتية في مكة وهي مدرسة تدرّس علم الاصول الفقهي على المذاهب الاربعة وخاصة العقائد عن المدرسة المارودية والمدرسة الاشعرية.

وكان يعمل آنذاك في الشركة الموحدة للكهرباء (قسم شؤون الموظفين) عاش في السعودية فترة حيث التقى بعض علماء المسلمين من القارة الهندية. آنذاك كان ما يزال شافعي المذهب، التقى بالشيخ إسرار أحمد وهو تلميذ الشيخ أبو الأعلى المودودي كان قد استقل عن الجماعة الإسلامية في باكستان وحضر بعدها إلى السعودية في موسم الحج.

وبعدها بدأ يتواصل معه وأسس نواة حركة الخلافة الإسلامية (المهاجرون) وكانت هذه الحركة تضم أشخاصاً من عدة جنسيات وكان هدفها الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل لإقامة الخلافة.

وبعد فترة غادر السعودية حيث بدأ يلتقي شباب حزب التحرير.

وفي العام ١٩٨٥ غادر إلى بريطانيا وعاش هناك حتى العام ٢٠٠٥ وكانت معه زوجته وولده، وفي بريطانيا تابع دراسته في المعهد الإسلامي في أكسفورد وما يزال حتى الآن يدرس.

وفي بريطانيا نسب إليه انتماؤه إلى حزب التحرير لكونه كان ينادي بالخلافة. فاندمج مع حزب التحرير وأصبح أستاذ كلية الشريعة وتعليم أصول الدين في لندن وبعدها بدأ يدرّس أصو الدين إلى ان وصل أثناء الدراسة إلى المدرسة السلفية.

ويقول: آنذاك كنت أحقق في بعض الكتب العلمية منها كتاب (الإبانة) للإمام أبو الحسن الاشعري فتبين لي انني على خطأ في فهم مسألة من مسائل أصول الدين وهي تعريف الإيمان الذي بسببه كثير من المسلمين يقعون في مخالفات شرعية فكلنا من المسلمين وكلنا أهل قبلة، فدرست علم الفرق والملل والنحل للشهرستاني، وتبين لي ان هناك مدارس اعتقادية فاتضح لي ان هناك ما يسمى بـ(الرافضة) و(الناحية) و(السنة) و(الشيعة) و(المرجئة) و(المعطلة).

وتبين لي أن هناك من ليس من أهل القبلة كالرافضة والناحية والبهائية والإسماعيلية والنصيرية وإلخ. فأخذت فيها رسالة ماجستير في الشريعة وحضرت رسالة الدكتوراه في علم الفرائض في الميراث.

فأصبحت أستاذاً في كلية الشريعة في أصول الدين في لندن ثم قاضي المحكمة الشرعية في لندن وأمير حركة المهاجرين **التي اندمجت في حزب التحرير.** إلى أن استقلت منها عام ١٩٩٦، والاختلاف بدأ مع حزب التحرير عندما تغيرت عقيدتي من المؤمن الذي يقول أن الإيمان اعتقاد قلبي إلى الذي يقول الإيمان قولك وعملك واعتقاد قلبي.

ويضيف: «مثل هون بلبنان بيقولوا الإيمان بالقلب يا معلم»، بينما الإيمان ليس اعتقاداً قلبياً بل هو قولك وأفعالك. وهذا ينطبق على المدرسة السلفية التي تقول أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطباعات وينقص بالمعاصي والآثام.

التطاول على الأمويين وفضائح المنتسبين للسنة

كاظم حامد الربيعي - ميدل إيست أونلاين ٢٠١٢/٥/١١

يتزامن الهجوم (القديم –الجديد) على صاحب رسول الله ﷺ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مع الهجمة الشيعية على أحفاد الشهيد المظلوم عثمان بن عفان سيد بني أمية.

وبين الهجوم المعنوي الفكري على معاوية والأمويين، والهجوم العسكري المادي الذي يشنه العلويون وحلفائهم الشيعة على الشعب السوري تبرز في أمتنا ملامح أمة أخرى قوام منهجها التبعية والانقياد للفكر الشيعي، وظاهر أمرها التمسك بالدين الإسلامي فهي أمة جسدها سني وقلبها شيعي يُسبح بلعن أتباع النبي محمد ﷺ.

فهذه الأمة التي تُحسب على أهل السنة على صنفين: الأول عالم بالحق جاحد له يدين بدين القوي المتمكن (إيران ومذهبها)؛ والثاني: جاهل بالحق متبع للهوى وهذا الصنف قد مسخت شخصيته وهويته الإسلامية، فهو يبحث عنه هنا وهناك فكلما أعجبه شيء من زينة الباطل اقترب منها ولجأ إليها طمعاً في شيء يهدأ الخواء الفكري والتصحر العقدي الذي يُلهب الشك والريب والتردد في صدره، وهذا الصنف الثاني يغلب عليهم الحمق والسفه فهم يظنون أن الحق والخير في التوحد بين السنة والشيعة فلا ثقة لهم بدينهم فيرون فيه نقصاً كبيراً لا يسده ولا يملأه إلا التقارب مع الشيعة.

ولعلنا نجمل أبرز ملامح هذه الأمة في السطور التالية:

١- السفه والطيش

اذا استثنينا المنافقين من هذه الأمة السنية التابعة لإيران، فإن أصحاب النوايا الطيبة والمقاصد الحسنة يغلب عليهم السفه وخفة العقل ورداءة الرأي وانعدام النظر وسوء التفكير، ومع ذلك فهم يسعون بجهلهم وحمقهم إلى قيادة مجتمعاتهم نحو الانتصار والتمكين والنهضة، وحاصل منهجهم هو الاقتراب من العدو الشيعي والتصالح معه والتفاهم والالتقاء حول النقاط المشتركة والمحاور الجامعة بغية توحيد الصف لمواجهة الأعداء. وهنا يكمن السفه والطيش حيث ينقلب هذا الحزب على إجماع الأمة واتحاد كلمتها وما يوصي منطق العقلاء من وجوب الحذر من إيران واتخاذها عدواً والتيقظ لمكرها ونبذ مذهبها والرد عليه وتحقيره حتى لا يستحسنه ضعاف العقول والمفتونون.

وقد فضّل هؤلاء القوم شق صف الأمة بغية التقارب مع إيران، فدخلوا في حرب مع أبناء دينهم وعقيدتهم وجلدتهم ايغالاً في الجهل والعدوان والبغي، ومع ذلك فهم يدفعون عن انفسهم تهمة التشيع والتأثر بمذهب «الخرافة والوثنية» لكنهم لا يملكون ذلك بعد أن اصبحوا فرساناً أشداء في معسكر كربلاء، فأخلاقهم وما تفيض به السنتهم يشهد على تبعية فكرهم وميل هواهم مع إيران ومذهبها، فما استحسنه الشيعة فهو حسن، وما استقبحوه فهو القبيح المذموم الذي سيشق صف الأمة ويشتت قوتها التي يجب ان توجه نحو أعدائها!

وفي قضيتنا (التطاول على معاوية) لم يكن غريباً أن نجد ألسنة سنية حادة على خال المؤمنين (معاوية) وعلى دولة الأمويين تحت واجهات ومسميات وشبهات كثيرة، تتهافت بمجرد صدورها من قوم مالت قلوبهم نحو تيار الخروج والمروق على الأمة)التشيع)، فإثارة أي قضية تتعلق بمعاوية رضي الله عنه ما لم تصدر من سُني يترضى عنه ويذكر له محاسنه وفضائله في خدمة الأمة، فلن تعدو كونها تخريفات جاهل يُلقن القول، أو نفثات سم من حاقد على الإسلام وتاريخه وأهله.

ويتضح لك عوار المنهج المعادي للأمويين حينما تقارنه بكتابات النصارى عن سيرة رسول الله وخاتم النبيين ﷺ فتجدهم يختزلون الإسلام وحياة نبيه عليه السلام بالدماء والمعارك بغية تشويه الصورة أمام الجهلة وغير المطلعين، مع أن بعثة النبي ﷺ كانت أكبر من أن يعبر عنها قلم البشر ووصفهم القاصر ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

فمن يهاجم الأمويين حتى يخرجهم من الدين، ويتهمهم بانتحال الإسلام لاستعادة مجد بني أمية في الجاهلية ينحى منحى المستشرقين النصارى الذين منعهم حقدهم من صياغة صورة مشوهة مقبولة (نوعاً ما) عن النبي الكريم عليه السلام ودينه القويم، فما تم من الانجازات والفتوحات والانتصارات وظهور الدين في عهد الأمويين لا يعدله ما تم فيما بعده من القرون والسنون.

وهؤلاء السفهاء الذين هرعوا إلى إيران وأشياخها (الخميني وحسن نصر الله) يبتغون بهم النصر هم شر من يتحدث عن السادة الأمويين الذين أوصلوا الدين إلى المشارق والمغارب.

لقد حاز الأمويون أعظم الشرف في جهاد الكفار وفتح البلاد ورفع راية المسلمين، فيما حاز هؤلاء مرتبة الخيانة العظمى بموالاتهم الأعداء وانحيازهم إلى مذهب الوثنية الشيعي، وانقلابهم على الأمة.

إن الأمة المحمدية لا يقرر مصيرها السفهاء ولا يقودها الحمقى والمغفلون الذين يبتغون العزة في موضع الذل وينتظرون النصر من حزب الغدر والخيانة، ومهما تطاول هؤلاء على القادة والسادة الفاتحين من الامويين فلن تخلو هذه الأمة من «طائفيين وهابيين» يردعون السفهاء الذين آثروا الأهواء على منهج الأنبياء .

٢- الانحياز إلى حزب الظلم ومعسكر الطغيان

حينما تنقلب المفاهيم وتُمسخ القلوب والعقول،

وتتـتكس فطـرة الأمـة المهزومـة فـلا عجـب ان تمجـد الظـالمين وتلعـن المظلـومين، فالـسفه يقتـل صـاحبه ويـأمره بركـوب كـل منكـر ومـستقبح عنـد ذوي الـرأي الـسديد ليـزين لـه فعلـه علـى أنـه تمـام العقـل وغاية الحكمة.

فهـؤلاء المتطـاولون يـصيبهم الخـرس حينمـا يُـذكر الـشهيد عثمـان ودمـه الـذي سـفك في الـشهر الحـرام في البلـد الحـرام، لأنهـم لا يعبـأون بمـا أصـاب الأمـة مـن نكبـة بمقتـل خليفتهـا، وكيـف يعـدونها نكبـة وأصـحابهم الـشيعة يلعنـون عثمـان بـن عفـان كمـا يعلنـون صـاحبيه أبـي بكـر وعمـر، وكيـف يعـدونها نكبـة وأتبـاع معاويـة وخلفائـه وأوليائـه انتحلـوا الإسـلام خدمة لأطماعهم!

وقـد أصـبحت الاسـتهانة بالـدم الـسني أمـارة لهـؤلاء المفتـونين بـإيران، فهـم لا يعبـأون بالـدماء الـسنية الـتي سـفكها الـشيعة في إيـران والعـراق وسـوريا ولبنـان، وذلــك- كمــا يقولــون- حرصــاً علــى تجنــب الخلافـات الطائفيـة الـتي يـستغلها الـساسة واصـحاب المـصالح الماديـة في خدمـة أطمـاعهم وأغراضـهم - وانظـر كيـف يُـبرأ القاتـل ومذهبـه الـشيعي خدمـة لأهـواء حـزب التقريـب والتقـارب، ولتـذهب دمـاء أهـل بغداد والبصرة وحمص إلى الجحيم!

لقـد قـصمت ثـورة الامـويين في سـوريا ظهـور هـؤلاء الـسفهاء المفتـونين فمـنهم مـن آثـر التمـسك بـالبغي والعـصيان ومـوالاة إيـران، ومـنهم مـن صُـفع علـى وجهـه بعـد أن تبـدد وهـم المقاومـة والممانعـة فانقلـب خائبـاً محسوراً مخذولاً.

لكنـك تجـد صـورة مختلفـة حينمـا يتبـاكى هـؤلاء الـسفهاء علـى الحـسين بـن علـي رضـي الله عنـه، فاستـشهاده– عنـدهم - أكـبر المحـن وأعظـم رزيـة في الإسـلام، مـع أن استـشهاد الخليفـة عثمـان أكـبر وأعظـم مـن قتـل الحـسين رضـي الله عنهمـا، لكـن الـولاء لإيـران ومـذهبها يفـرض علـيهم الانتقـال مـن حُـسن الاعتقـاد إلى سـيء المـذاهب وأقـبح الطرائـق وأرذل الآراء.

٣- تقديس البشر

لم نــر في كــلام علمائنــا وكتــب أئمتنــا ذاك التهويـل والتـضخيم لخطـأ معاويـة رضـي الله عنـه في قتـال علـي بـن أبـي طالـب رضـي الله عنـه، وإنمـا جـاء تعليقهم مناسـباً لـذلك الحـدث التـاريخي وتلـك المحنـة العـصيبة، وقـد اكتفـوا بمـا دلّ عليـه الكتـاب والـسنة وأوصـى بـه في مثـل هـذه الأحـوال فمعاويـة مـصيب في طلبـه دم عثمـان مخطـئ في الطريقـة الـتي اتبعهـا، وعلـي رضـي الله عنـه ولـي الأمـر في ظـرف عـصيب ولم يكـن أمامـه سـوى إعـادة ترتيـب الـصف وتنقيتـه قبـل البحـث عـن المجـرمين والقـصاص مـنهم، وهـو مـصيب في قتـال معاويـة والحـق في ذلـك معـه، هـذا مـا اسـتقر عليـه الـرأي عند العقلاء والمنصفين.

أمـا أهـل الأهـواء اليـوم فجعلـوا قتـال معاويـة لعلـي أكـبر الخطايـا وأعظـم الآثـام وذلـك إيمانـاً مـنهم بقداسـة علـي ومكانتـه العظيمـة الـتي لم يبلغهـا أحـد مـن البـشر، وربمـا رفعـه بعـضهم فـوق منزلـة البـشر تماشـياً مـع مـذهب الـشيعة، فـالوقوف ضـد علـي كـالوقوف ضـد الـنبي عليـه الـسلام، بـل هـو أشـد عنـدهم! وهـذه النتيجـة مـن ثمـار الاقـتراب مـن التـشيع والتـأثر بالعقائـد الوثنيـة والقـول بألوهيـة وقدسـية الأئمـة الاثني عشر وغيرها من الأفكار الفاسدة.

وإذا كـان الـشيعة يلعنـون معاويـة وبـني أميـة وأهـل الـشام لتجـرؤهم علـى الـذات المقدسـة (علـي بـن أبـي طالـب)!، فأتبـاعهم مـن الـسنة المهـزومين يكتفـون بالنيـل مـن معاويـة لأنهـم لـو أسـفروا عـن وجـوههم وبـواطنهم لكفـر النـاس بحـديثهم، ولعلـهم ينتظـرون اسـتتباب الأمـر للـشيعة في سـائر الـبلاد حتـى يُخرجـوا مـا كـانوا يكتمونـه مـن الطعـن في عثمـان بـن عفـان وعمـرو بـن العـاص والمغـيرة بـن شـعبة وغيرهـم مـن أكـابر الـصحابة وأعيـان الأمـة مـن المجاهـدين الفاتحين والعلماء المصلحين.

ولـو نظـرت في وجـوههم وهـي تتـابع تطـورات الثـورة الـسورية لرأيـت الخـوف والقلـق والترقـب، فانتـصار الثـورة نكبـة لحلفـائهم الـشيعة لا سـيما لجنـود المقاومـة

والممانعة في لبنان، وبسقوط الحكم العلوي سيتبدد بإذن الله تعالى وهم الممانعة، وستتخلص المنطقة من ثقافة المقاومة التي ارتفع بنيانها على جثث أهل السنة وركام المساجد المهدمة والمصاحف المحرّقة.

٤- الانتصار لمنهج الهدم والدمار

يدعي هؤلاء المفتونين بإيران أنهم في مساعيهم التقريبية يبتغون توحيد الصف والنهضة بالأمة وما علموا أنهم بجهلهم وسفههم هذا كمن يستعين بالشيطان على عبادة الرحمن!، فمذهب الوثنية وتقديس الصالحين وأضرحتهم لن يجلب للأمة نصراً ولا خيراً ولا عزاً.

كما أن حركة التشيع قائمة على عقيدة استرداد الحق المغتصب والثأر للمقتولين يوم الطف (الحسين وأهله رضي الله عنهم)، ولعن الأمة التي خذلت الحسين وقتلت أمه فاطمة ودبرت لقتل علي وولده الحسن رضي الله عنهم، فهي امتداد لأفكار الثأر الجاهلية بثوب ديني إسلامي .

إن الذين يطعنون في سياسة عثمان المالية وفي دولة بني أمية لو انفقوا أعمارهم وأعمار آباءهم وأجدادهم فلن ينجزوا عُشر ما أنجز الأمويون، لأن الإعجاب بالتشيع والاحتفاء بأهله لن يجلب إلا الدمار والخراب، وهذه أحوال البلاد التي يحكمها الشيعة منذ عقود تشهد على أن الخراب قرين التشيع. فسوريا التي حكمها الشيعة العلويون منذ عام ١٩٦٣ استحالت إلى ركام من الفساد والذل والاضطهاد، أما إيران التي تسعى للتوسع والتمدد وتعزيز مكانتها الإقليمية فداخلها منخور بالفقر والجهل والسخط على رجال المذهب «الملالي»، أما العراق الذي جمع الله فيه من الكنوز والأموال والخيرات ما يكفي لإعمار بلدان فقد أصبح -بعد أن آل أمره إلى الشيعة- قبلة للفاسدين يعج بالفقراء والجوعى والمحرومين، وما زالت أبسط الخدمات الأساسية والمتطلبات الضرورية لحياة الإنسان حلماً عند كثير من أهل العراق.

لكن كيف يعمر الأرض من جعل قلبه معلقاً بالقبور والموتى، وكيف يخدم الناس ويسعى في مصالحهم من يستنجد بالأموات ويستغيث بالمقبورين ويستشفي بالعاجزين.

مساكن الموتى عامرة بالأحياء، ومساكن الأحياء عامرة بالخراب فلا أحد يلتفت إليها، فالقبور هي محضن السياسة والعبادة والاجتماع والترفيه والترويح عن النفس، يسكنون القبور في حياتهم، ويخالطون الموتى أكثر مما يخالطون الأحياء، وان ابتعد أحدهم بجسده عن مراقد الأئمة (الحسين والكاظم والعباس والحسن العسكري) فروحه معلقة بها يقاتل من أجلها ويذبح الخلق قربة لأصحابها، ويدبر المكائد ويضع الخطط من أجل حماية أتباع الأئمة، فأي جاهلية قبورية يفتن بها هؤلاء القوم؟

لعله من الطبيعي أن تظهر في أمتنا فئة تُعجب بثقافة المتغلب صاحب القوة والنفوذ فهذا زمان الشيعة، وكما ظهر في أمتنا أشياع وأذناب للغرب ينتصرون لثقافتهم ويستحسنون ما عندهم ويرفضون تاريخهم وعقيدتهم، فقد ابتليتنا في هذه الزمان بهذه الطائفة المهزومة التي آثرت الانحياز والميل نحو التشيع بعد رفضت تاريخها وعقيدتها .

إن هذه الأمة المفتونة بالتشيع لن يجدي معها شيء فهي تستحسن القبيح وتستقبح الحسن، ترتضي الذل وتسميه عزاً وشرفاً، تطعن في حضارة الأمويين الفاتحين وتأوي إلى صحراء التشيع وحصونه الخربة، يؤثرون الدمار على الإعمار، والقبورية على الملة الإبراهيمية، ويحسبون أنهم على شيء.